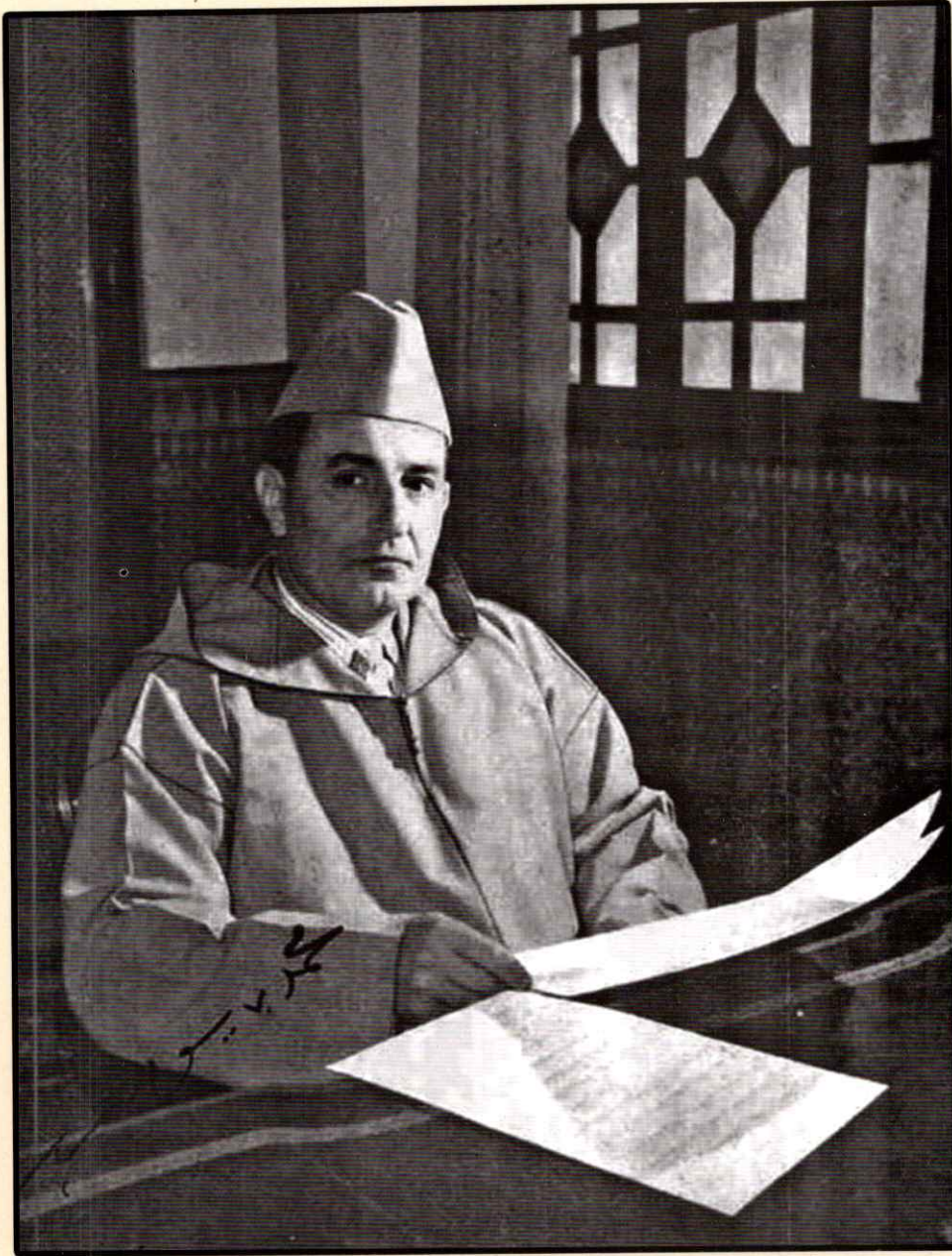


# دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والعكر  
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية



عدد خاص بذكرى ثورة الملك والشعب



السنة الواحدة والستون - العدد 426 ذو القعدة 1439 هـ / غشت 2018 م

426





# دعوة الحق

مجلة شهرية تُعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والعكر  
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

السنة الواحدة والستون - العدد 426 ذو القعدة 1439هـ / غشت 2018م



أسسها  
جلالة الملك المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه  
سنة 1376هـ / 1957م



”... ولذلك سرنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة  
تُعنى بصيغة خاصة بنوعية الإصلاح الديني، كما تُعالج  
مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية، ولنا وكسيد الأمل في  
أن يلتفت حولها أوعية الفكر والثقافة والإصلاح في فناء  
البلاد وغيرها لتؤدي مهمتها خير أداء.  
وعسى أن تملك مجلة ”دعوة الحق“ سبل النجاح والتوفيق“.

من الكلمة التي وجهها المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه  
إلى مجلة دعوة الحق بمناسبة صدورها في شهر يوليوز 1957

إلى وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والشؤون الثقافية  
الملك المغربية محمد الخامس طيب الله ثراه  
في 16 يوليوز 1957م

- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.
- ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.

العنوان : مديرية الشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المشور السعيد - الرباط

الموقع الإلكتروني : www.daouatalhaq.ma - البريد الإلكتروني : daawatalhak@mhai.gov.ma

هاتف التحرير : 05 37 76 59 05 - هاتف مدير المجلة : 05 37 66 06 74

فاكس : 05 37 76 17 21

هاتف وفاكس : 05 37 76 32 10

التوزيع

الحساب البنكي : القرض الفلاحي - وكالة الحسابات الكبرى - الرباط :

RIB : 225-810-0195092946510102-88

الاشتراكات في المجلة : الاشتراك التشجيعي : 500 درهم - المملكة المغربية : 150 دھ

الخارج : 300 درهم  
ثمن العدد : 15 دھ

رقم الإيداع القانوني : 1981/3

الرقم الدولي : 1981PE0003

الإخراج الفني والطباعة : مطبعة الأمنية - الرباط

مدير المجلة :

الأستاذ أحمد قسطاس



رئيس التحرير :

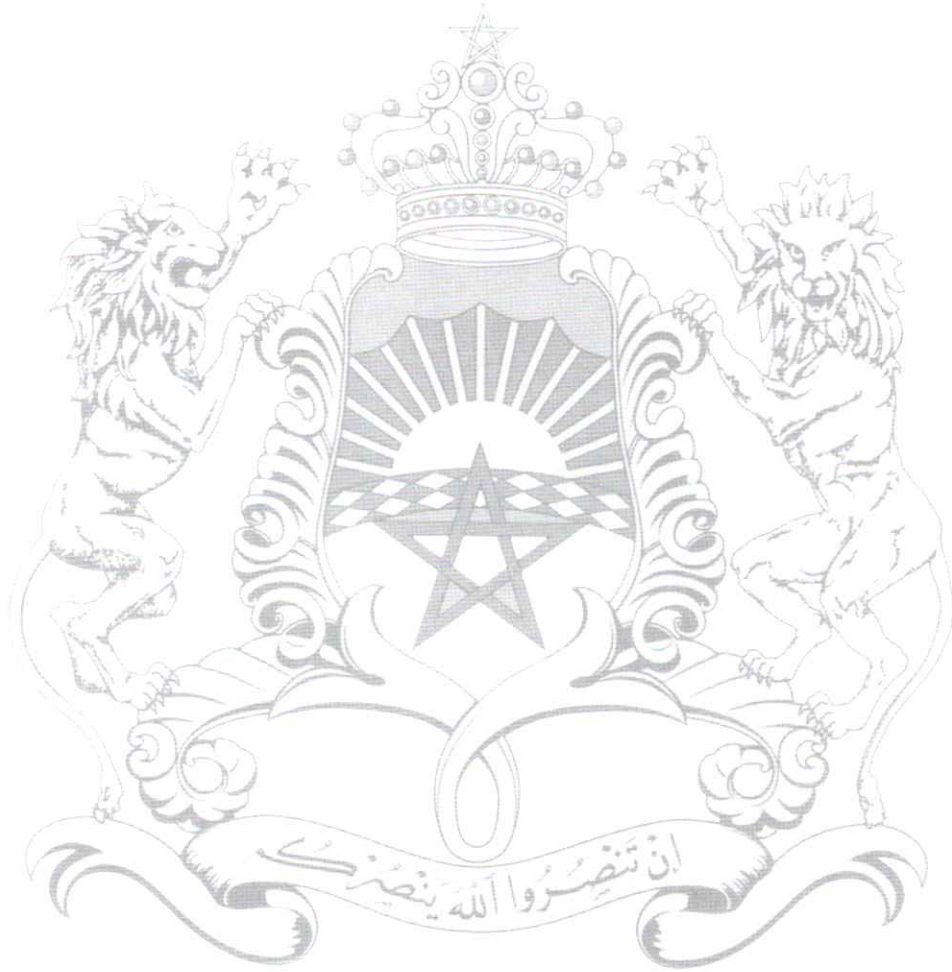
الأستاذ عبد الحميد العلمي







أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده







صاحب السمو الملكي الأمير السعيد مولاي رشيد حفظه الله





# افتتاحية

يحتفل الشعب المغربي هذه السنة بالذكرى الخامسة والستين لثورة الملك والشعب، التي تجسد في وجدان المغاربة ملحمة ولهنية خالدة بصلاها: ملكا مجاهدا وشعبا مناضلا، وهما لها: استقلال المغرب وعلمة رمز الأمة جلالة المغفور له الملك محمد الخامس لصيب الله ثراه إلى أرض الوطن.

لذا يمكن اعتبار هذه الذكرى محطة مشرفة في تاريخ المغرب، أضاء سناها مختلف بلدان إفريقيا، كما عمقت الوعي والإيمان بوحدة المصير بين دولها. وبعض علماء الوعي، أصبحت هذه الثورة النبراس المحتذى، والنموذج المرتضى، وكانت لها تجليات في متابعة ما أسبغت عنه، والعمل على تحقيق الاندثار الافتصادي والاجتماعي لشعبها.

إنها ثورات أخرى من أجل ضمان الاستقرار والرفق داخل المغرب وخارجه، علم أن "ثورة 20 غشت لم تكن حدثا بارزا في تاريخ المغرب فقط، وإنما كانت لها أبعاد وامتدادات مؤثرة على المستوى المغربي والإفريقي"، سواء تعلق الأمر بالتنمية البشرية أو بالمنجزات الاقتصادية، كمشروع أنبوب الغاز الأهلبي نيجريا- المغرب، وإنشاء مركبات لإنتاج الأسمدة بكل من إيثيوبيا ونيجريا، وتكشين المعالم الدينية والعمرانية والبنيات التحتية وغيرها، وعلم وفق "نفع سياسة تضامنية وإقامة شراكات متوازنة على أساس الاحترام المتبادل وتحقيق النفع المشترك للشعب الإفريقي".

إننا بحاجة اليوم إلى استلهام فيم التضحية والوفاء من هذه الذكرى لنجعلها ثورة متجددة، وعصمة مباركة لتفعيل المنجزات وتحقيق المزيد من التطلعات، مع استحضار ما يفتضيه المقام من عظيم العرفان وفاق الاحترام لأرواح رموز هذه الثورة، وفي مقدمتهم جلالة المغفور له محمد الخامس لصيب الله ثراه وجلالة المشمول بعفو الله الحسن الثاني أكرم الله مثواه، وباف شعدها الوطن الذين حففوا بتضحياتهم الغالية المعاني الرفاية لهذه الثورة السامية.

لذا يسعد مجلة الدعوة الحق أن تنص هذا العلم لهذه الذكرى الغالية على المواهبين، والعزيلة على المغاربة أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

رئيس التحرير.





# مفالات العلم







## ذكرى 20 غشت شهادة تاريخية على التحام العرش والشعب

د. عبد الحق المريني  
مؤرخ المملكة والناطق الرسمي  
باسم القصر الملكي

لا يختلف اثنان أن العرش المغربي كان الراعي الأول للحركة الوطنية التي قامت على إثر الاصطدامات التي أثارها تعنت المقيمين العامين الفرنسيين، ورميهم عرض الحائط لكل مطلب تقدمت به الحركة الوطنية، من أجل التحرر من قيود الحجر والحماية. وهو الذي منح هذه الحركة القوة الوثابة، وغذاها بتوجيهاته النيرة وحماها من كيد المتآمرين.

فبدأت أنظار الاستعمار الفرنسي تتجه إلى العرش المغربي، وتفكر في تدبير المؤامرات ضده لما عبر عنه ملك البلاد من أفكار تحريرية، ولما سطره من منهج قويم ليسلكه شعبه الوثاب للحصول على السيادة والعزة والكرامة. وكانت هذه المؤامرات المبيتة تهدف إلى الحيلولة دون اتصال الملك بأفراد شعبه لاعتقاد مدبريها الواهي أن دوام اتصال الملك بشعبه هو ضمان لانتصار المبادئ التي يؤمن بها ويعمل من أجلها، ولذلك حاولت هذه المؤامرات دون جدوى أن تحد من هذا الاتصال. ولكن ذلك لم يزد الشعب المغربي إلا تعلقا بملكه، ولم تزد العلاقة بين الملك والشعب إلا متانة وقوة. وكانت الأزمة - أزمة سنة 1951م - التي كاد فيها الجنرال جوان الشرس أن يهجم على القصر الملكي، ولكنه خائنه جرأته، فارتد على أعقابها منهزما مدحورا.

وواصل جلالة الملك المغفور له سيدي محمد بن يوسف رحمه الله الكفاح المستميت ومواقفه البطولية في وجه العدوان والتحديات، وطالب بإلغاء نظام الحماية في خطاب العرش للعيد الفضي سنة 1952م، وقال فيه كلمته المشهورة: "إن نظام الحماية كقميص وضع لطفل صغير فكبر الطفل وبذلك أصبح غير صالح لأن يلبسه هذا الرجل الراشد" (يعني به المغرب). وقد تنبأ الشعب

المغربي بما لا يحمد عقباه وقام بانتفاضاته ضد المحتل الغاصب في ربوع المملكة خلال شهر غشت من سنة 1953م.

وما أن حل يوم 20 غشت من هذه السنة، حتى حلت معه "المأساة المغربية"، المتمثلة في نفي المغفور له محمد الخامس وأسرته الكريمة إلى المنفى السحيق، ذلك أن الجنرال كيوم المقيم العام الفرنسي وصل إلى القصر الملكي مرفوقا بالجنرال "ديفال"، قائد القوات الفرنسية بالمغرب وقابل جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه بقاعة العرش وخاطبه قائلا: "إن مصلحتك أن تكون مع فرنسا وإن لم تكن مع فرنسا فإننا سنطلب منك أن تتنازل عن العرش المغربي"، فأجابه سيدي محمد بن يوسف رحمة الله عليه قائلا: "هذه أمانة في عنقي إئتمني عليها الشعب المغربي فلن أخونها وفرنسا قوية فلتفعل ما تريد وما تشاء... وإذا كانت الحكومة الفرنسية تعتبر الدفاع عن الحرية وعن الشعب جريمة تستحق العقاب، فإني متمسك بهذا الدفاع الذي يستحق الشرف والمجد". وكان الاعتداء الغاشم على العرش المغربي والجالس عليه ليلة عيد الأضحى يوم الخميس 9 ذو الحجة 1352هـ.

واعتقد مدبرو هذا العمل الشنيع بأن مبادرتهم الدنيئة كانت بمثابة الخطوة الحاسمة للقضاء على السيادة المغربية، ولكن في الحقيقة كانت بمثابة أول بادرة للقضاء على نظام الاحتلال بالمغرب.

وكان رد الشعب المغربي قويا وعنيفا، وكانت العمليات الفدائية ومعارك جيش التحرير الضارية، وسقط الشهداء الأبرار في ساحة التضحية والفداء. وأصبح جلالة الملك المغفور له محمد الخامس قائد ثورة التضحية والتحرر التي حقق رجالها المعجزات بالكفاح والصمود والثبات على المبدأ، وأطلق جلالته على هذه الثورة في ذكرائها الثالثة لسنة 1956م- بعد عودة جلالته من المنفى- "ثورة الملك والشعب"، التي قال عنها وارث سره ورفيقه في الكفاح والنضال جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله مثواه في إحدى خطبه: "فلو لم تكن مسيرة الشعب والعرش مسيرة تاريخية حتى أصبحت جبلية عندنا لما تمكنا في القرن الذي نحن فيه من أن نقوم بثورة الملك والشعب".

وكانت عودة جلالة الملك المجاهد سنة 1955م، من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر مكللة بالنصر والظفر، حاملا في يده الكريمة وثيقة الحرية والاستقلال ومعبرا بلسانه للشعب المغربي قوله: "أيها الشعب الوفي قد أخلصت الوفاء كما أخلصت وأديت الواجب كما أديت وها أنا ذا بينكم كما تعهدوننا حب البلاد رائدنا وخدمتها غايتنا". وجاهد جلالته رحمه الله لوضع أسس هذا الاستقلال إلى أن التحق بالرفيق الأعلى سنة 1961م.



فكلما حلت هذه الذكرى منذ بدء الاحتفال بها سنة 1956م، إلا وجسدت التحام العرش بالشعب والشعب بالعرش وطموحاتها وآمالها في التنمية والنماء والرقى والازدهار، وفي تحقيق أعظم المكاسب وأعلى الأماني، وفي ربط الماضي الحافل بالأعجاز بالحاضر المشرق، وفي الحفاظ على وحدة المغرب الترابية والوطنية والدينية، وفي تقوية الروابط وتمتين الأواصر بين كافة المواطنين دون تمييز أو استثناء.

وهكذا، سيرا على نهج أسلافه الميامين طبع خير خلف خير سلف جلالة الملك محمد السادس نصره الله المغرب في هذه الألفية الثالثة بطابع الحداثة والتطور والجدية في العمل المتواصل الدؤوب من أجل تحقيق جميع الطموحات والإنجازات والأولويات التي يكرس لها جلالته جميع الطاقات البشرية المغربية ذات الكفاءات العالية، والعمل على ترسيخ المقومات الوطنية والثوابت التاريخية طبقا لروح ثورة الملك والشعب التي لا تزيد مع مرور الأحقاب إلا رسوخا وخلودا.



## الإعلام الديني ودوره في تثبيت الهوية الوطنية "مجلة دعوة الحق نموذجا" لمؤسسها المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه

ذ. عبد الحميد العلمي  
أستاذ التعليم العالي - فاس

وبعد، فإن الحديث عن الإعلام الديني في الإسلام يقتضي صدق التبليغ عن الله ما يتعلق بالأحكام والوقوف عند ما حده البيان.

فمن يؤمنك من سؤال الله تعالى يوم القيامة من أين فهمت عني ما تعنيه أنت وأنا العاني؟ أو بدلت ما يقتضيه كلامي؟

قال سبحانه: "فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم"<sup>1</sup>. ومعلوم أن الصدق في التبليغ له تعلق بمفهوم الإعلام الشرعي كما سنرى لذا اخترت أن أترجم هذه المقالة بـ: (الإعلام الديني ودوره في تثبيت الهوية الوطنية "مجلة دعوة الحق نموذجا" لمؤسسها المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه).

وباستيفاء النظر في قيوده وجدته مؤسسا على مقدمة تحتها مسألة.

أما المقدمة فتعني بمسمى الإعلام وأدلة مشروعيته وأما المسألة فلها تعلق بالإعلام الديني ودوره في تثبيت الهوية الوطنية من خلال مجلة دعوة الحق، فماذا عن :

1 - البقرة، الآية 180.



## المقدمة

خصصتها لمفهوم الإعلام وأدلة مشروعيته.  
فعلى مستوى التسمية ذكر أهل اللغة أن لفظ الإعلام مصدر للفعل الرباعي "أعلم" يقال أعلم يعلم وأعلمته بالأمر أخبرته به وأطلعته عليه.  
قال سيبويه: أعلمت كآذنت" ومنه بلغت، وبه يعلم أن مادة "أعلم" تطلق على الإخبار والتبليغ والإطلاع والإيذان..  
-أما معناه في الاصطلاح فله إطلاقان :  
أحدهما: عام يشمل المعاني اللغوية أعلاه سواء تم ذلك بالعبارة أو الإشارة أو المشاهدة أو النصب وغيرها.  
كما يدخل فيه إخبار السمسار بأحوال العقارات أو الدلال بأثمنة المنقولات والبراح بإيصال المعلومات .

## والإطلاق الثاني: خاص

وهو عبارة عن صناعة مخصوصة توجب لمن قامت به الإمام بفن الحصول على الأخبار وكيفية صياغتها وطرق تبليغها.  
وقد عرف بعض المصطلحين الإعلام بقولهم: "الإعلام عملية تفاهم تقوم على تنظيم التفاعل بين الناس وتجاوبهم وتعاطفهم مع الآراء فيما بينهم".  
وقال آخر: "الإعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت".

أما عن التأصيل الديني لمشروعيته، فبابه نقل وإجماع وعقل.

أما النقل فمن الكتاب والسنة.

ففي القرآن نجد قوله تعالى: "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته"<sup>2</sup>.

2 - المائدة، الآية 69.

وجه الدلالة : الأمر بإعلام الناس برسالة رب العالمين.

وقوله سبحانه: "هذا بلاغ للناس"<sup>3</sup>.

قوله عز من قائل: "ولأذن في النام بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق"<sup>4</sup>.

وجه الدلالة الأمر بإعلام الناس بعبادة الحج.

ومن السنة نجد قوله صلى الله عليه وسلم: "بلغوني ولو آية"<sup>5</sup>.

وقوله: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله"<sup>6</sup>.

روى زيد بن ثابت قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه"<sup>7</sup>، أي حتى يعلم أو يخبر به.

كما روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "بينما الناس في صلاة الصبح إذ جاءهم رجل فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عليه القرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة"<sup>8</sup>. وفيه دلالة حجية خبر الواحد وشرعية العمل به حسب من أخبر به.

فلننظر إلى هذا الضرب من الإعلام الديني وأثره في المطلوبات الشرعية.

- أما الإجماع فما تناقلته الكافة عن الكافة من غير قيام نكير أن أصل الانقياد لشرع الله قائم على الإخبار والدعوة وتبليغ الناس بشؤون دينهم وتعريفهم بأحكام شرعهم.

- أما العقل فمنه جواز قياس شرعية الإعلام على الإخبار والتبليغ كما تقدم.

ومنه أيضا رد مسألة الإعلام الشرعي إلى ما تقتضيه المصالح الشرعية والقواعد المرعية في الشريعة الإسلامية.

3 - إبراهيم، الآية 54.

4 - الحج، الآية 25.

5 - أخرجه البخاري وغيره.

6 - نفسه.

7 - نفسه.

8 - رواه مالك في الموطأ.

وعلى هذا درج العلماء في تراجم مصنفاتهم ومنها كتاب:  
- "إعلام الموقعين عن رب العالمين" لابن قيم الجوزية  
- "إعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام..." لابن الخطيب.  
هذا عن مسمى الإعلام وتأصيله الشرعي، بقي الكلام عن:  
المسألة وعنوانتها ب:

"الإعلام الديني ودوره في تثبيت الهوية الوطنية مجلة دعوة الحق نموذجاً".  
إن القول بالديني مخرج للإعلام الفني والاقتصادي والأدبي وغيرها.  
فللقيد هنا حيثية وهي من لوازم الخصوصية لأنها مرتبطة بالأشرفية الدينية. لذا بات لزاماً على  
من رام هذه الصناعة أن يتحلى بموجباتها ويعرض عن محاذيرها ومن تلك المحاذير:  
أ- استثمار هذا النوع من الإعلام لأغراض غير دينية.  
ب- غياب مهنية التعامل مع الموضوعات الشرعية مما يفضي إلى التقول في شرع الله بغير علم.  
ج- اختلاف المشارب وتعدد المرجعيات مما يؤثر سلباً على الضوابط التي أقرها القرآن في  
إعلام الناس بأحكام دينهم وكيفية تبليغ رسالة نبيهم صلى الله عليه وسلم.  
ومن تلك السلبيات:

- ما يرجع لمصدر المعلومة، فالمقام يقتضي ضرورة التثبت منها لئلا يكون في الإخبار بها ضرر  
على المتلقين مصداقاً لقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة  
فتصبحوا على ما فعلتم نادمين"<sup>9</sup>.

- ومنها ما يرجع لكيفية تبليغها، وذلك وفق منهج الحكمة القاضية بالسلوك الأقوم والأخذ  
بالتي هي أحسن مصداقاً لقوله سبحانه: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم  
بالتي هي أحسن"<sup>10</sup>.

9 - الحجرات، الآية 6.

10 - النحل، الآية 125.

- ومنها ما يرجع إلى تحري الصدق ومجانبة الكذب لأن ذلك من علامات ضعف الوازع والوقوع في الموانع لقوله عز من قائل: "إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون"<sup>11</sup>.

هذا ولما كان هذا الضرب من الإعلام له تجلياته الروحية في مختلف البلاد الإسلامية فقد حمل أمانة التعريق به والعمل على استشاره وسائل الإعلام المختلفة من سمعية وبصرية وإلكترونية وورقية وغيرها.

والذي يعنينا في هذا الموضوع هو الإعلام الورقي الذي اتخذ مجموعة من المسميات تبنتها مختلف دول العالم. وقد كان لمجلة دعوة الحق شرف التعريف بها في العدد 137 تحت عنوان: "المجلات الإسلامية بشتى لغات العالم"

وهو مقال مترجم عن الإنجليزية عرض فيه صاحبه لعدد من المجلات الصادرة بمختلف اللغات في دول إفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا اللاتينية والشمالية.

إلا أن الناظر في مكانة مجلة دعوة الحق من المشار إليه أعلاه يجدها تمثل رأس الأمر وسنامها وتكفي الإحالة على ما كتب في مجلة المنار الأزهرية بتاريخ الجمعة 20 مايو 2011م للتدليل على تفرد مجلة دعوة الحق بخدمة القضايا الدينية والعلمية في العالم العربي والإسلامي والحفاظ على الهوية الوطنية والعربية فيهما.

وبعد فجريا على سنن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في إثراء الفكر الديني والنهوض بالمستوى العلمي والتعريف بالثوابت المغربية الحافظة للهوية الوطنية فقد سخرت لذلك مجموعة من الآليات كبناء المؤسسات وتكوين الأئمة والمرشدين وتنظيم الورشات والمسابقات. وطبع المؤلفات وتوزيع الدلائل والنشرات. كما حرصت على إصدار مجلة دعوة الحق لمؤسسها جلالة المغفور له الملك محمد الخامس طيب الله ثراه الذي حلى انطلاقته بقوله: "ولذلك سرنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة تعنى بصفة خاصة بناحية الإصلاح الديني، كما تعالج مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية، ولنا وطيد الأمل في أن يلتف حولها دعاة الفكر والثقافة والإصلاح في هذه البلاد وغيرها لتؤدي مهمتها خير أداء. وعسى أن تسلك مجلة دعوة الحق سبل النجاح والتوفيق".



وقوله بالإصلاح الديني مشعر بما نحن فيه لأنه خادم للهوية الوطنية من خلال الحفاظ على الثوابت الشرعية.

وفعلا فقد يسر الله لها سبل تلك الخدمة منذ صدور أول عدد في يونيو 1957م، حيث شارك فيه ثلة من دعاة الإصلاح ورواد الحركة الوطنية المتشبعين بالإخلاص للهوية المغربية ومنهم : علال الفاسي وعبد الله كنون وعبد الوهاب بن منصور وعبد الهادي التازي والفاروقي الرحالي وغيرهم.

كما شارك في العدد الثاني من السنة نفسها أعلام منهم: أبو الأعلى المودودي والمختار السوسي ومحمد السائح وعبد العزيز بن عبد الله ومحمد الطنجي ومحمد بن تاويت ومحمد الحلوي وغيرهم من المشهود لهم بالتضلع من العلوم الشرعية وإخلاصهم للخصوصية المغربية وانتصارهم للثوابت الوطنية، ثم نسج على منوالهم ثلة من أهل الفضل والعلم: كالفقيه المنوني ومصطفى محمد الدباغ وعبد العزيز بن إدريس وأحمد مجيد بنجلون ومحمد عبد حسو والمختار ولد الباه وغيرهم كثير ممن ضربوا بسهم وافر في الحفاظ على الهوية المغربية. وبفضلهم أصبحت هذه المجلة النبراس المحتذى والنموذج المقتدى فاشترأت إليها الأعناق من كل الآفاق الأمر الذي بوأها ريادة جعلتها قبلة للباحثين وموثلا للقاصدين ومنارة للدارسين بفضل ما قدمته من أعمال سواء تعلق الأمر بالثوابت الدينية أو بالأبحاث الأكاديمية الموسومة بالأدبية والاجتماعية والتاريخية والتراثية والعمرانية وكل ما يدخل في مسمى العلوم الإنسانية.

هذا ومن بركات هذه المجلة أنها تجاوزت الستين عاما من عمرها وما زالت شابة توتي أكلها كل حين.

ولما يسر الله لهيئة التحرير النهوض بها آلا أن يخلصوا لما دعا إليه مؤسسها وهو أن نجعلها معلمة جامعة خادمة للقضايا العلمية والحفاظ على الهوية الوطنية "يلتف حولها دعاة الفكر والثقافة والإصلاح في هذه البلاد وغيرها لتؤدي مهمتها خير أداء.

لذا حرصنا جميعا بمعية السيد المحترم مدير الشؤون الإسلامية ومباركة معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية على أن نحقق لها أسمى الغايات وأعلى الدرجات فكان من نتائج ذلك التحقيق صدور أعداد أذكر منها:

- التعليم العتيق بالمغرب

- المجالس السلطانية

- التصوف السني والامتداد الإفريقي
- أصول الفتوى بالمغرب الأقصى
- الخزانات العلمية بالمغرب.
- ذكرى المولد النبوي الشريف
- فقه الواقع والاجتهاد.

كما واكبت مستجدات القضايا الوطنية والدولية كالأعداد الخاصة بعيد العرش المجيد وثورة الملك والشعب وملف الصحراء المغربية ومؤتمر كوب 22 الذي انعقد بمراكش حيث خصص العدد 420 للتغيرات المناخية تحت عنوان "البيئة والمناخ" كما خصص العدد 421 لموضوع المغرب والعلاقات الإفريقية.

وقد تضمنت هذه الأعداد وغيرها مقالات علمية شارك بها أكاديميون متخصصون وعلماء مبرزون من داخل المغرب يعجز العد عن حصرهم في هذه المقالة.

كما شارك بها علماء وباحثون من خارج الوطن، منهم:

- الشيخ رافع طه الرفاعي من العراق.
- والدكتور ماينغ جغ من جامعة الصين
- والدكتور ناصر فلاح الشهراني من السعودية
- والدكتورة جميلة بولخراص من جامعة الجزائر.

إن المجلة ماضية في خدمة القضايا الوطنية والدولية والتعريف بالهوية المغربية القائمة على الثوابت الشرعية.

ويكفيها شرفا اختيار بعض الباحثين من خارج الوطن عناوين رسائلهم الجامعية في موضوع مجلة دعوة الحق منهم:

- الدكتور رائد أبو رية من الأردن الذي أنجز رسالة لنيل شهادة الدكتوراه تحت عنوان "مجلة دعوة الحق المغربية وموقفها من قضايا المسلم المعاصر" بكلية أصول الدين بجامع الأزهر الشريف بمصر العربية موسم 2016-2017م.

- الدكتور خبي عبد الله من الجزائر الذي اختار موضوع رسالته بعنوان: "الثورة الجزائرية من خلال مجلة دعوة الحق المغربية من سنة 1957 إلى 1962م" أنجزها عام 2003م.

- كما نظمت هيئة المجلة ندوة علمية في موضوع: "الفكر المغربي في كتابات مجلة دعوة الحق"  
والقول بالفكر المغربي يصدق على الديني بثوابته المعلومة، كما يصدق على ما هو أدبي وتاريخي  
 واجتماعي واقتصادي وسياسي وفني وتراثي وعمراني وغير ذلك مما يحقق دعوى قيام المجلة على  
مقومات الهوية الوطنية المستمدة من تعاليم الشريعة الإسلامية.  
وهذه مناسبة لدعوة كل من له غيرة على موروثنا الديني والوطني إلى المشاركة في الأعداد  
القادمة بحول الله.  
هذا ما يسر الله تقييده بشأن الإعلام الديني ودوره في تثبيت الهوية الوطنية من خلال مجلة  
دعوة الحق أسأل الله تعالى أن يكون ما قدم فيه نافعاً في بابه وأن يجد محلاً عند قارئه أمين وآخر دعوانا  
أن الحمد لله رب العالمين.

## مساجد فاس ودورها الفعال في ثورة الملك والشعب

د. سمير بوزويطة

جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس

شكلت المساجد مركز العبور والاتصال و المساهمة الفعالة في الثورة الشعبية التحريرية، والتي انطلقت شرارتها منذ أن وطأت أقدام القوة الغاشمة للاستعمار الفرنسي أرض المغرب بشكل عام، وأرض فاس على وجه التحديد. وتحمل منذ ذاك الحين الخطاب الديني رسالة نشر الوعي والتحسيس بخطورة الاستعمار. فأصبحت منابر مساجد فاس فضاء لتأطير الشعب و ترشيده إلى فهم ذاته، وبث الوعي الإسلامي الوطني في صفوفه، وذلك بإحياء مقومات شخصيته بالتربية، والتعليم، والوعظ والإرشاد، وتسليحه بوحدته الوطنية، وتحريره من الخوف من قوة الاستعمار. وكان هذا الصنيع مقدمة وإرهاصا للعمل الثوري المسلح.

تركز هذه المقالة على أدوار مساجد فاس في مواجهة الاستعمار الفرنسي، وخاصة موقف علمائها من نفي رمز الأمة المغربية وحامي ملتها السلطان سيدي محمد بن يوسف، وترصد الأشكال النضالية التي قامت بها منبر مساجد فاس لاسترجاع السلطان سيدي محمد بن يوسف من منفيه وعودة الشرعية والسيادة المغربية.

### 1- مساجد فاس في مواجهة الاستعمار الفرنسي (1912 – 1944م)

كانت المساجد بفاس سباقة لمواجهة الاستعمار الفرنسي، حيث انطلق منها جموع المصلين ثائرين على الاستعمار، ورافضين لكل أشكال الاتفاقات التي أبرمها السفير رينيو مع السلطان مولاي عبد الحفيظ.

تُصنّف هذه المقالة على رصد حالات دقيقة لدور المسجد بفاس والتي كان لها الوقع الخطير على زعزعة الاستعمار الفرنسي ومواجهته ومقاومته.



تضمنت الحالة الأولى تأطيرا واضحا للمساجد في انقلابات العسكر المغربي ضد المؤسسة العسكرية الفرنسية، حيث اندلعت الشرارة الأولى من المساجد وانخرط فيها الجنود المغاربة، وقد اشتهرت انتفاضة 17 و 18 و 19 أبريل 1912م باسم الأيام الحمراء تارة، وباسم الأيام الدامية تارة أخرى<sup>1</sup>، وأطلق الجنرال "موانيني" على مدينة مولاي إدريس بسبب ذلك اسم "المدينة المجرمة". لقد أيقنت المخابرات العسكرية الفرنسية حينذاك أن المساجد قامت بالدور الريادي في تحشيد واستنفار العساكر المغاربة وتمردهم وإعلانهم العصيان والانقلاب على المؤسسة العسكرية الفرنسية. فأصبح مسجد القرويين وضريح مولاي إدريس<sup>2</sup>، وجامع مولاي عبد الله ملجأ للعساكر الثائرين<sup>3</sup>، ومنبرا لحماسة العلماء الذين رابطوا بكل مساجد فاس. وبالنظر إلى إحساس المؤسسة العسكرية الفرنسية بخطورة دور المساجد في المواجهة والمقاومة، فقد أقدمت سلطات الاحتلال بقيادة الكولونيل هانوس على تحويل مسجد باب العجيسة إلى مقر للمخابرات الفرنسية<sup>4</sup>، والأدهى من ذلك حولت هذا المسجد إلى مرتبط لدواب الجيش الفرنسي.

إن إقدام المؤسسة العسكرية الفرنسية على هذا الفعل الشنيع، والذي يمس الأماكن المقدسة عند المغاربة، يؤكد باللموس وعلى أرضية الواقع أن المساجد كانت هي الحاضنة للمقاومين سواء منهم العلماء والعساكر والحرفيين وعامة الناس، ولا أدل على ذلك، أن المساجد استمرت في القيام بهذا الدور من سنة 1912م إلى حدود 1944م. ونذكر على سبيل ذلك لا الحصر، أحداث انتفاضة تلاميذ مدرسة مولاي إدريس سنة 1923، والتي تعتبر الحالة الثانية والتي أطر فيها المسجد نضالات طلابية، حيث سيكون لمسجد مولاي إدريس دور ريادي في تأطير مظاهرة ضد سلطات الاحتلال الفرنسية، وترجع فصول هذه المظاهرة عندما حدثت مشادة بين تلاميذ مدرسة المولى إدريس الثانوية بفاس وأستاذ فرنسي، بعد أن صفع هذا الأخير أحد التلاميذ، فقام التلاميذ على إثر هذا التصرف بإضراب عام عن الدراسة، وخرجوا في مظاهرة تجمعت بمسجد مولاي إدريس<sup>5</sup>.

1 - التازي عبد الهادي، الحماية الفرنسية بدوها - نهايتها حسب إفادات معاصرة، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1980م، ص 12.

2 - العمراني عبد الحي حسن، مختارات للأستاذ أحمد بن سودة، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، الطبعة الأولى 1991م، ص 237.

3 - بن الحسن محمد، "السلطان المولى عبد الحفيظ وانتفاضة فاس من خلال وثيقة أجنبية (أبريل - يونيو 1912م)"، ندوة المقاومة المسلحة والحركة الوطنية بالمنطقة الوسطى الشمالية ما بين 1911، 1956م، بجامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز، دجنبر 1995م، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ص 64.

4 - العلوي مصطفى، "هل قتل الفرنسيون السلطان مولاي حفيظ" جريدة الأسبوع العدد 691/112، بتاريخ الخميس 3 ماي 2012م، ص 28.

5 - غلاب عبد الكريم، تاريخ الحركة الوطنية المغربية من نهاية الحرب الريفية إلى إعلان الاستقلال، الجزء الأول، مطابع الشركة المغربية، الدار البيضاء 1976م، ص 34.

أما الحالة الثالثة والتي تجسد مدى انخراط المسجد في تأطير المقاومة بمختلف أطيافها، فترجمت على أرض الواقع سنة 1925م، حيث تم تأطير ساكنة فاس منهم السكان المتضررون من نقص الماء أو الحرفيون الذين تضرروا بشكل مباشر من قلة الماء، والذي يعتبر المصدر الرئيسي في حرفتهم<sup>6</sup>. وألقى بعضهم خطبا حماسية بالضريح الإدريسي وبجامع القرويين لاستنهاض الهمم وحشدتها لمواجهة الاستعمار ومقاومته<sup>7</sup>، وفي تجمع آخر بمسجد أحمد بن ناصر استدعى أعيان فاس كالحاج محمد بن فاضل بنجلون رئيس غرفة التجارة ومحمد المريني رئيس غرفة الفلاحة ليشرحوا للسكان بأنه لا ضرورة للقلق وأنه لا شيء مقرر بعد، وفي جميع الأحوال فإن حقوقهم واهتماماتهم سيتم معالجتها والمحافظة عليها<sup>8</sup>.

لم يقف المسجد عند القيام بدوره الريادي في المقاومة عند هذا المستوى، بل قفز إلى القيام بأدوار سياسية، نرصد منها الحالات التالية، والتي همت تأطير علماء القرويين لسكانة فاس ضد السياسة البربرية 1932م<sup>9</sup>.

وكان أول من رفع شعار اللطيف الحاج "العربي بوعياذ" بمسجد القرويين في الرابع من يوليوز 1930م، واستمرت التجمعات متوالية بالجامع. اشتد الحماس بالناس وبلغ أوجه، بعد أن خطب بجامع القرويين تحت الشرا الكبرى "عبد السلام بن إبراهيم الوزاني"<sup>10</sup> خطبة بين فيها بعض مخاطر السياسة البربرية، داعيا الحاضرين إلى الدفاع عن الدين والشرعية، والتصريح برفض الظهير البربري عن طريق الانتقال إلى مواقف عملية والخروج جماعة من القرويين عبر سوق الشماعين نحو الضريح الإدريسي للتوسل وطلب اللطيف<sup>11</sup>. وبالضريح الإدريسي خطب السيد محمد بن فاتح الصفرىوي، وما أن انتهت خطبته حتى خرج المتظاهرون منه إلى مسجد الرصيف.

6 - «La population de Fès c'est émue d'une mesure qui semble lui disputer la propriété de l'oued Fès » le petit marocain, N° 4711, 18 Mai 1930, P 2.

7 - الفاسي علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الخامسة، الدار البيضاء 1993م، ص 160.

8 - «LA population de Fès .... » Le petit marocain, N° 4711, op. cit. P 2.

9 - الجندي أنور، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م، ص 141.

10 - غلاب عبد الكريم، تاريخ الحركة الوطنية ... ج الأول، مطبعة الرسالة، الرباط 1987م، ص 14.

11 - الدفالي محمد معروف، القرويين والصراعات السياسية في مغرب الحماية، "مجلة أمل"، العدد الثاني، السنة الأولى، 1992م، ص 105.

أما حالة زيارة السلطان سيدي محمد بن يوسف لفاس في ماي 1934م، ومنعه من أداء الصلاة بالقرويين، فقد استغلها فقهاء وعلماء المساجد، وهيجوا الساكنة والتي خرجت جميعها، وما كاد يظهر السلطان لها حتى تعالت صيحات الجماهير هاتفة "عاش السلطان، عاش سيدي محمد، عاش المغرب، عاش الإسلام، ولتسقط فرنسا، فليحررنا الله، وليساعدنا السلطان"<sup>12</sup> وازدانت شوارع المدينة، ورفعت الأعلام الوطنية فوق أقواس النصر في طول المدينة وعرضها<sup>13</sup>.

وتعبيرا من طلبة القرويين وعلمائها الشباب على ما يكونونه للسلطان من حب<sup>14</sup> اجتهدت شببة العلماء في جعل لذة الزيارة مناسبة وطنية يلتف حولها كافة أطياف الشعب المغربي، ويجعل منها الوطنيون منطلقا قويا للتعبير عن متانة الارتباط بالعرش العلوي<sup>15</sup>.

أما الحالة السياسية التالية فقد تجاوز دور المساجد كل ما هو محلي بل قفزت إلى تأطير المقاومة الوطنية ونذكر منها حالة، طلاب القرويين وثورة مدينة الخميسات (أكتوبر 1937م)، حيث شهدت مدينة الخميسات موجة من الاحتجاجات، بعد مجيء أربعة طلاب شبان من القرويين خطبوا بمسجد قرية الخميسات، محرضين المسلمين على فرض التخلي عن العرف البربري والرجوع إلى الشريعة الإسلامية مهما كانت التكاليف<sup>16</sup>، بعدما راجت أنباء تنفيذ تأسيس كنيسة بأملالك الأحباس<sup>17</sup>.

عموما إنها الحالات المتعددة الأوجه التي عبرت من خلالها المساجد عن مواقفها السياسية والاجتماعية والثقافية تجاه الاستعمار الفرنسي، وواجهته بتجديد أشكال ممانعتها ومقاومتها.

## 2 - مساجد فاس والإصرار على عودة الشرعية للدولة المغربية

شكلت سنة 1951م، منعطفا حادا في مصير علاقات الإقامة العامة بالقصر، حيث بدا التوتر مخيما على علاقات السلطان سيدي محمد بن يوسف والمقيم العام جوان، وبدت معالم عزل سلطان

12 - De Lacharrière Ladreit, « Les événements de Fès », *Revue l'Afrique française* ; année Mai 1934, N° 5, p. 267.

13 - ابن سلامة عبد الرحيم، كفاح المغاربة من أجل الحرية والديمقراطية، مكتبة السلام، الرباط، الطبعة الأولى 2006م، ص 153.

14 - المريني عبد الحق، مدخل إلى تاريخ المغرب الحديث من عصر الحسن الأول قدس الله روحه إلى عصر جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، مركز الدراسات والبحوث العلوية، دار المناهل للطباعة والنشر، 1996م، ص 386.

15 - Jalabert Louis, « le nationalisme marocain » *Revue Etudes*, 87eme année, Tome 220, juillet - Aout-Septembre 1934, Imprimerie j. Dumoulin, Paris 1934, p.435.

16 - جوليان شارل أندري، إفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة، المنجي سليم والطبيب المهيري والصادق المقدم وفتحي زهير والحبيب الشطي، الدار التونسية للنشر، تونس 1976م. ص 192.

17 - Rivet, Daniel, *Le Maroc de Lyautey à Mohammed V, Le double visage du protectorat*, Editions Denoël, France 1999, p. 392.



البلاد واضحة ووشيقة، إذ بادر الجنرال جوان إلى الضغط على السلطان بتوقيع عدة ظهائر تهدف إلى تكوين مجلس نيابي مشترك بين المغاربة والفرنسيين<sup>18</sup>. وكان امتناع السلطان عن توقيع الظهائر مدخلا للمواجهة الصريحة، والتي انتهت بضرورة الاختيار بين الإمضاء على مشاريع القوانين التي أعدتها الإقامة العامة والمصادقة عليها، وبين تنازله عن العرش<sup>19</sup>.

تأكدت مناورات عزل السلطان سيدي محمد بن يوسف بتدبير مؤامرة تزعمها الكلاوي وعبد الحى الكتاني. وعموما انخرط علماء القرويين في الصراع بين السلطان سيدي محمد بن يوسف والإقامة العامة الفرنسية بالمغرب مع بداية سنة 1950م.

ولم تتوان أو تتهاون الإقامة العامة من محاولات إخراس أصوات العلماء الوطنيين، ففي سنة 1951م، أقدمت السلطات المحلية بفاس على توقيف خمسة من علماء القرويين بأمر من الجنرال جوان وهم: أحمد الجايي وعبد الله الجايي ومحمد المستاري وإبراهيم ابن الحاج وعبد الكريم التواتي، وحبس العالم عبيد الفيلاي بتهمة تحريض التجار على إغلاق دكاكينهم يوم الجمعة، وفي الوقت ذاته تم اعتقال العالمين الفقيه العروسي والحسن العلوي، وحكم عليهما في المحكمة الباشاوية بخمسة عشر يوما بتهمة التعاطف مع القطر الليبي الذي كان قد حصل لتوه على الاستقلال<sup>20</sup>.

كما شهدت الفترة نفسها اعتقال الخطيبين علال الجامعي خطيب مسجد فاس الجديد، وعبد الرحمان ربيحة، حيث وجهت للأول تهمة التلغظ بكلمات في خطبة من شأنها أن تقلق الرأي العام، ووجهت للمتهم الثاني تهمة التحريض على عدم الصلاة وراء الأئمة بمسجد القرويين في يوم الجمعة بدعوى أنه خائن<sup>21</sup>.

وأمام تصاعد التوتر، بادر الجنرال "لابرا" حاكم ناحية فاس في إطار حلحلة الوضع وطرح خارطة طريق بينه وبين علماء القرويين، إلى عقد اجتماع بينه وبين المجلس العلمي بجامعة القرويين،

18 - الشرايبي عبد الهادي، ثمن الحرية، 1978م، ص. 213.

19 - بو طالب عبد الهادي، ذكريات شهادات ووجوه، الجزء الثاني، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، 1992م، ص 486.

20 - "سلطات الحماية ما تفتأ تتدخل في شؤون الدين وتمتحن رجاله" جريدة العلم، العدد 1670 بتاريخ 4 يناير 1952م، ص 1/الدعوة لليبيا تستحق السجن"، جريدة العلم، عدد 1676، بتاريخ الخميس 10 يناير 1952م، ص 1.

21 - "محكمة الاستئناف تقرر إطلاق سراح العالمين الأستاذين علال الجامعي وعبد الرحمن ربيحة"، جريدة العلم، عدد 1713 بتاريخ 16 فبراير 1952، صص 1-4.



بحضور باشا المدينة الفاطمي ابن سليمان، يوم السبت 26 يناير 1952م لدراسة ملف الاعتقالات التي شملت العلماء وفي هذا الموضوع نشير إلى أهم ما جاء في هذا اللقاء:

- اعتقال العلامة السيد عبد الواحد بن عبد الله.

- توقيف علماء موظفين بجامعة القرويين، حيث التمس العلامة عضو المجلس العلمي الحاج العربي الحريشي من الجنرال لبارا التدخل لإرجاع هؤلاء المدرسين إلى رحاب الجامعة التي عرفت فراغا كبيرا وعرقلة كثير من الأعمال بها، جراء غياب هؤلاء المدرسين<sup>22</sup>.

رغم الانفراج الذي شهدته قضية الموقوفين وإطلاق سراح العديد من العلماء المعتقلين أمثال عبد الرحمان ربيحة، وعلال الجامعي<sup>23</sup>، فقد ظل التوتر سائدا، وظلت المراقبة اللصيقة والتضييق على العلماء سلاح السلطة في تعاملها مع هذه الشريحة<sup>24</sup>.

استمرت مساجد فاس في التعبير عن مواقفها الوطنية، حيث أقامت صلاة الغائب على روح النقابي التونسي فرحات حشاد. وعلى إثر ذلك اعتقلت السلطات الاستعمارية زعيم الحركة الوطنية أحمد مكوار وعبد الكريم بن جلون والعالمين إبراهيم الكتاني، وعبد الرحمان الحريشي<sup>25</sup>.

شكل نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف صدمة خلفت رجة قوية لدى العامة والخاصة، هرع على إثرها الناس إلى المساجد بعد إقفال متاجرهم، إلى ذكر اللطيف، وأقدم الناس في هذا اليوم على اغتيال إمام متعاون مع سلطات الحماية هو إدريس بن سودة أمام مسجد الرصيف<sup>26</sup>. ونشطت المظاهرات بشكل يومي، كان للمسجد دور مهم في تأطير هذه المظاهرات التي أسفرت عن سقوط العديد من الضحايا قتلى وجرحى<sup>27</sup>.

وكان يوم الاثنين من شهر غشت 1954م يوما دمويا، أطر فيه شباب القرويين مظاهرات انضمت إليها النساء والأطفال، حاملين صور السلطان سيدي محمد بن يوسف، وجابت سوق

22 - "حديث هيئة المجلس العلمي بجامعة القرويين مع الجنرال لا بارا"، جريدة العلم، عدد 1695، بتاريخ 29 يناير 1952م، صص 1-4.

23 - "ابتهاج فاس بمقدم العالمين الجليلين علال الجامعي وعبد الرحمان ربيحة"، جريدة العلم، عدد 1720 بتاريخ 23 فبراير 1952م، ص 4.

24 - « journée calme à Fès » Le courrier du Maroc, N° 5251 du 13 décembre 1952, p. 1.

25 - Ibidem.

26 - الورديغي عبد الرحيم، المقاومة المغربية ضد الحماية الفرنسية 1912-1956م، 1982م، صص 71-72.

27 - Alaoui Ali Mounir, *Mohammed V et Hassan II une évocation historique*, Imprimerie Al Maarif al Jadida, Rabat 1999, p. 95.

العطارين فانضم إليها التجار، وكذا طلاب المدارس المجاورة للقرويين، ومجموع المصلين بعدما أدوا صلاة الظهر بمسجد القرويين والحرم الإدريسي<sup>28</sup>. وكانوا يهتفون بشعار "يحيا السلطان، عاش سيدي محمد" واستمرت المظاهرات إلى حدود الساعة السابعة، فتدخلت الشرطة واللفيف الأجنبي، فأطلقت الرصاص على المتظاهرين مما أسفر عن مقتل خمسة أشخاص على الأقل وجرح خمسة وعشرين آخرين<sup>29</sup>.

استمرت المظاهرات بمدينة فاس رغم الجهود التي بذلت من أجل إيقاف المتظاهرين، وقد عرفت فاس في هذا اليوم الرابع من شهر غشت مظاهرات خرجت من جامع القرويين والحرم الإدريسي بعدما تجمع بها عدد من الشباب، وقد عرفت مظاهرات فاس خروج المرأة إلى جانب الرجل للمطالبة بعودة السلطان محمد بن يوسف، وزوال هذا اليوم وفي حدود الساعة الواحدة وبعد صلاة الظهر شيع خبر رجوع السلطان محمد بن يوسف إلى الرباط لتخرج الجموع وتجوب شوارع فاس العتيقة. وقد قامت المرأة في هذا اليوم بدور مهم، فرغم الحصار المفروض من لدن سلطات الحماية انضمت إلى المظاهرات وقد أشارت جريدة "مروك بريس" إلى أن حوالي 1000 امرأة خرجن من الحرم الإدريسي حواملات شعار "يحيا السلطان يحيا الملك" ومررن بشوارع القطنين والشعاعين واستمرت المظاهرات في هذا اليوم إلى المساء، ونودي إلى الصلاة واجتمع الجمع بالقرويين، وخطب أحد الخطباء الجمهور الفاسي مطالباً إياه بالهدوء والعودة إلى منازلهم<sup>30</sup>.

وفي الخامس من شهر غشت من السنة نفسها، ركز المتظاهرون على جعل جامع القرويين مركزاً للحشود التي رفعت شعار: "إما السلطان؟ أو الموت" وفي هذه الأثناء تصدت قوات الاحتلال لجموع المواطنين مما أسفر عن مقتل 7 أشخاص<sup>31</sup>.

وفي سياق الأحداث التي شهدتها مدينة فاس، فقد تم توظيف صلاة العيد لهذه السنة من أجل إلقائها باسم السلطان سيدي محمد بن يوسف بكل من مسجد الرصيف والقرويين وضريح مولاي إدريس، تلبية لنداء المواطنين وإصرارهم على سماع الخطبة باسم السلطان المنفي<sup>32</sup>. كما ألقى خطبة الجمعة ليوم 13 غشت 1954م باسم السلطان المنفي وبحضور أعداد كبيرة من المصلين خاصة

28 - «Violents incidents en médina de Fès, Maroc presse, N° 2000, mardi 3 aout 1954, p.1.

29 - «Violents incidents en médina de Fès, Maroc presse, N° 2000, p 1.

30 - "Nette détente à Fès", Maroc presse, N° 2002, jeudi 5 aout 1954, p2.

31 - "Nouveaux incidents à Fès Maroc presse, N° 2003, 06/08/01954, p2.

32 - "Nouveaux incidents à Fès trois mort et plusieurs blessés", la vigie Marocaine, N° 15441 du 11 aout 1954, p.1.

بمساجد مولاي إدريس والقرويين والأندلس والرصيف، أما مسجد مولاي عبد الله المجاور للقصر السلطاني فقد أديت صلاة الجمعة باسم ولد مولاي عرفة بحضور بوعشرين الخليفة السلطاني<sup>33</sup>.

وفي هذا الوقت بالذات طالب 40 عالما ينتمون إلى جامعة القرويين بفاس برجوع العاهل الشرعي "محمد بن يوسف" إلى عرشه وقد وجهوا في هذا الشأن رسالة طويلة إلى المقيم العام، يصفون فيها الحالة الخطيرة التي يعيش فيها سكان المغرب منذ يوم 20 غشت 1953م، ويعبرون عن مخاوفهم اتجاه هذه الحالة التي تزداد تأزما يوما بعد يوم، واصفين الحالة الدينية بالمغرب بعد المساس الذي أصاب العرش المغربي في شخص السلطان الشرعي سيدي محمد بن يوسف بالمزرية خاصة بعد امتناع المغاربة من تأدية صلواتهم يوم الجمعة في المساجد وأثناء الأعياد الدينية، وكذلك التوجه إلى الديار المقدسة لتأدية فرائض الحج<sup>34</sup>.

وكان على رأس هذه التوقيعات أسماء علماء بارزين أمثال "عبد الله الداودي" و"أحمد العراقي" و"أحمد العمراني"، وهم أساتذة للأقسام العليا بجامعة القرويين<sup>35</sup>.

ومع اشتداد الخناق على علماء القرويين، لجأ أربعون عالما عشية يوم الخميس 12 غشت 1954م إلى الاعتصام بالحرم الإدريسي كمكان محرم على السلطات الاستعمارية تعبيرا عن سخطهم وسخط المدينة التي يمثلونها من تعسف سلطات الحماية اتجاههم<sup>36</sup>.

وبعد أيام بادر العلماء المعتصمون بتوجيه بلاغ إلى الصحافة والإذاعة ذكروا فيه أنهم لم يكرهوا على رفع عريضة 25 يوليوز 1954م ولم يتعرضوا لأية ضغوطات من أية جهة كانت، وإنما قاموا بذلك في إطار المهمة الملقاة على عاتقهم والمتمثلة في تبليغ رغبات الناس والإفصاح عنها لدى الدوائر المختصة، مؤكدين أنهم سيظلون داخل الحرم إلى حين الاستجابة لمطالبهم<sup>37</sup>.

33 - 102 "manifestants condamnés à Fès", *le petit marocain*, N° 11719 du 14 aout 1954, p. 2.

34 - الوردغي عبد الرحيم، المقاومة المغربية...، م. س، ص 101.

35 - العلوي مصطفى، محمد الخامس...، ج 5، ص 457.

36 - جبرو عبد اللطيف، إيكس لبيان ملفات وحقائق، مطابع إكسيل برنت، طبعة بدون تاريخ، ص 24.

37 - الفرخ جواد، فاس في مواجهة الاستعمار الفرنسي: دراسة في أشكال المقاومة والحركة الوطنية، 1912-1944م، منشورات المندوبية السامية للمقاومة وأعضاء جيش التحرير، 2017م، ص 250.



ولمواجهة الموقف، وجهت سلطات الحماية جيشا لمحاصرة الضريح الإدريسي وقطعت عنهم الطعام<sup>38</sup>. فلم تكن تسمح لهم إلا بكأس من الحليب لكل واحد منهم، كل ذلك لإجبارهم على التراجع عن العريضة التي أصدروها والمطالبة بعودة السلطان الشرعي سيدي محمد بن يوسف، والمطالبة بالاستقلال. وقد امتد الحصار إلى المدينة بأكملها، فعزلت المدينة القديمة التي كان يسكنها المواطنون عن المدينة الجديدة التي يقطنها الأوربيون، مخافة أن تتسرب إليها المظاهرات، وقد اعتقل في وقت الحصار هذا نحو ألفي مواطن لاتهامهم بالعمل الوطني<sup>39</sup>.

وفي اليوم الرابع للاعتصام والذي صادف يوم الأربعاء 18 غشت، سيتم انتهاك حرمة ضريح مولاي إدريس على الساعة الثالثة صباحا، بعدما لم يُجد الحصار شيئا، حيث دخلت الجيوش بحضور خليفة باشا فاس أبو بكر التازي ومقدم الحرم، وألقت القبض على جميع المعتصمين الذين كانوا بداخل الضريح الإدريسي بما فيهم الأربعين عالما، وبذلك تم فض اعتصام العلماء دون تسجيل أية حادثة<sup>40</sup>.

وقد سيق هؤلاء إلى مفوضية الشرطة بالنجارين بفاس، وأخذ كل جندي يقبض على كل واحد بخصوصه لينقلوهم جميعا إلى باب عجيسة، حيث أعدت سيارات كبيرة لنقلهم إلى مكان لم يكن معروفا لأحد وقتئذ، ولكنه تبين بعد ذلك أن سلطات الحماية غيرت رأيها وقررت نقلهم إلى العاصمة الرباط<sup>41</sup>. وفي تغطيتها للحدث أشارت جريدة ماروك بريس (MarocPresse) إلى أن العلماء الذين أخرجوا من الحرم الإدريسي وصلوا إلى العاصمة الإدارية الرباط على الساعة العاشرة صباحا، وتم إسكانهم بمدرسة للا عائشة في انتظار استقبالهم من طرف محمد بن عرفة أو الصدر الأعظم يوم السبت 21 غشت<sup>42</sup>.

لقي حدث اعتقال العلماء وإخراجهم بقوة السلاح من الحرم الإدريسي اهتمام الأوساط الفرنسية، فقد استنكرت ذلك اللجنة المسيحية للوفاق الفرنسي الإسلامي وعلى رأسها لويس

38 - العمراني عبد الحي حسن، المغرب السياسي، جائزة المغرب لسنة 1968م، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 2005م، ص 348.

39 - غلاب عبد الكريم، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، ج 2، م. س، ص 624.

40 - « HouilliomChristian , « 40 oulémas de Fès sont conduits à rabat », le courrier du Maroc, N 6062 du 16 aout 1954, pp.1-4 ; « de nouvelles arrestations à Fès, Maroc presse, N° 2014, 17 aout 1954, pp 1-2.

41 - العمراني عبد الحي بنيس، المغرب السياسي...، م. س، ص 348.

42 - « Les oulémas réfugiés dans le de Moulay Idriss sont transférés à Rabat » Maroc presse, N° 2016, 19 aout 1954, pp. 1-2.

ماسينيون Louis Massignon وجون سيل Jean scelles، وكذلك عبرت لجنة فرنسا المغرب العربي عن شجبها لاختطاف الأربعين عالما الذين عبروا عن موقف شجاع يستحق الاحترام لصالح السلطان الشرعي سيدي محمد بن يوسف، مؤكدة أن عملية الاختطاف التي تمت باتفاق مع السلطات الفرنسية، تعد تصرفا غير مقبول وانتهاكا خطيرا للتقاليد الدينية<sup>43</sup>.

كان لهذه المواقف المنددة بعدم احترام قدسية المساجد، أثر مباشر في التعجيل بإطلاق سراح بقية العلماء الذين لم يوقعوا على رسالة الاعتذار لابن عرفة وذلك في يوم 18 شتنبر من سنة 1954م حيث أرجعوا إلى فاس، وبعد ما تم سماع إفادتهم من جديد بالمحكمة أطلق سراحهم.

لقد اقتنعت الإدارة الاستعمارية بأن البيعة التي أكره بعض العلماء على إمضائها لابن عرفة باطلة، وأن علماء فاس كانوا في مقدمة المناضلين من أجل الاستقلال<sup>44</sup>. وفي سياق توالي الأحداث وتشبث العلماء بتأطير المواجهة والمقاومة خلال سنة 1955م، فقد انطلقت عمليات الاغتيالات في صفوف الأئمة المناصرين للاستعمار سنة 1955م، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، اغتيال إمام مسجد مولاي عبد الله، وإمام أحد المساجد بكيكو المتاخمة لمدينة فاس<sup>45</sup>.

لم تتوقف منابر المساجد من تجييش السكان ضد الاستعمار الفرنسي إلا حينما اقتنعت الحكومة الفرنسية أن استعادة الشرعية للبلاد وعودة السلطان سيدي محمد بن يوسف إلى عرشه وشعبه هي بوابة حقيقية لعلاقات مغربية فرنسية جديدة مبنية على الاعتراف الرسمي باستقلال المغرب، وبالفعل تحقق ذلك بعودة المغفور له السلطان سيدي محمد بن يوسف يوم 16 نونبر 1955م، فكانت العودة بمثابة العودة إلى العقل، وكانت مناسبة عظيمة لاستحضار ملحمة المجد وجهاد العرش والشعب ضد الاستعمار، وفصلاً من فصول مشرقة ودروس بليغة في الوطنية الصادقة والإيجابية والدفاع عن ثوابت الأمة في أسمى مظاهر التضحية ونكران الذات، والتي بذل من أجلها الملك والشعب سويا الغالي والنفيس في سبيل عزة الوطن وكرامته والدفاع عن ثوابته ومقدساته. ومن

43 - DE PERTTI André ; *L'indépendance du Maroc et la France 1946- 1956*, mémoires et témoignages édité par le haut commissariat de libération Royaume du Maroc, imprimerie des éditions Kawatar, 2006, p. 403.

44 - غلاب عبد الكريم، تاريخ الحركة الوطنية...، ج2، م. س، ص 624. / التازي عبد الهادي، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس، موسوعة لتاريخها، المعماري والفكري، المجلد الثالث، دار الكتاب اللبناني، بيروت، طبعة أولى 1972م، ص. 772.

45 - عبد الله رشيد، كفاح المغاربة، ص. 169 - 170.

أهم الخلاصات التي يجب ترسيخها وتمريها للأجيال اللاحقة، أن الوطنية المغربية هي وطنية للعرش وللشعب كما آمن بها الشعب المغربي ملكا وشعبا، وهنا نستحضر ما قاله محمد المكي الناصري في جريدة الوحدة المغربية سنة 1937م: "الوطنية كما أفهمها ويفهمها كثير من زملائي المخلصين هي حركة دفاعية عن كافة الحقوق المهضومة، والحقوق القومية منها حقوق للعرش وحقوق للشعب، فمن دافع عن الشعب دون العرش أو عن العرش دون الشعب فهو عندي ليس بوطني كامل، لأن العرش المغربي في الحقيقة جزء لا يتجزأ من ميراث الأمة، وهو رمز الوجود السياسي والدولي المتواصل المتسلسل منذ قرون وأجيال"<sup>46</sup>.

46 - الناصري محمد المكي، "وطنيتنا للعرش وللشعب"، جريدة الوحدة المغربية، الأحد 14 فبراير 1937م، السنة الأولى، العدد 4.





## ثورة الملك والشعب قوام الوحدة والتلاحم وأساس التنمية والتقدم

د. إبراهيم بنزيدي  
المجلس العلمي المحلي بعين الشق

لقد كانت ثورة الملك والشعب حدثا عظيما في تاريخ مغربنا المعاصر، استطاع من خلال الجهود التنسيقية بين الملك وشعبه ممثلا في نخبة من مناضليه الأوفياء الحد من جبروت المستعمر الذي أهان مقدساتنا وعطل إرادتنا وأراد أن يستعبدنا، لكن شهامة هذا الشعب العريق صاحب التاريخ التليد الوفي لمقدساته الدينية والوطنية الطامح للانعتاق والحرية أبى إلا أن يقف وقفة رجل واحد وأن يرقى جميع المنابر بشتى ألوانها وأطيافها وينادي بالحرية في تلاحم فريد بين الملك وشعبه شهد له وأشاد به القاصي والداني.

ولأجل تجديد العهد للوطنية المغربية وللبيعة الشرعية للدولة العلوية، يأتي يوم 20 غشت من كل سنة ليخلد هذه الذكرى المجيدة التي تذكر جميع المغاربة بتلك الفترة العصيبة التي كانت سببا في استرداد الحرية والاستقلال الوطني.

إن الحرية التي حصل عليها المغاربة إثر هذا الحدث تعتبر منطلقا لرقى المغرب إلى المكانة اللائقة به من بين دول العالم، وتؤكد على الحب والوفاء المتواصلين بين الملك وشعبه، وتعلم أبناء هذا الوطن أن هذا الاستقلال لم يقدم للمغرب على طابق من ذهب وإنما حصل عليه بعد جهد جهيد وعناء كبير ومقاومة ونضال وإراقة لدماء الشهداء الأبرار وإبعاد ملك المغرب جلالة الملك المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه عن وطنه ومأواه.

لقد شهد المغرب قبل هذه الثورة المباركة فترة أساءت إلى المغاربة إساءة بليغة حيث فرضت عليهم قيودا منعتهم من تدبير شؤون بلادهم بأنفسهم بكل حرية وسيادة، وتسببت في خسائر كثيرة دامت مدة أربع وأربعين سنة.

هذه المدة التي ذهبت سدى من عمر هذا البلد استطاع بعد هذه الثورة أن يتداركها بفضل حنكة وحكمة ملوكه الثلاثة ويحولها من ركود وكساد إلى رقي وتطور ونماء. ولولا إخلاص المغاربة ووفائهم القائم على البيعة الشرعية لكان المغرب على وشك حرب أهلية تحرق الأخضر واليابس.

لقد عاملنا الاستعمار بمنتهى الخسة والحقارة، ولم يأل جهدا في إذلال المغاربة ومحاوله استعبادهم وتبخيس مطالبهم، فأقدم على قمع مقاومة الشعب وخلع ونفي ملكه الشرعي وتعيين محمد بن عرفة سلطانا على المغرب في الخامس عشر (15) من غشت سنة 1953م، إلا أن المغاربة لم يظلوا مكتوفي الأيدي فهبوا جميعا في انسجام لا نظير له يتولاه زعماء من الحركة الوطنية يتوسطون بين الملك وشعبه من خلال تخطيط مدروس وتنظيم محكم أفضى في النهاية إلى مقاومة أعادت إلى المغرب سيادته وملكه وحقت حريته وانعتاقه.

إن يوم العشرين من غشت سنة 1953م يعد يوما فاصلا بين مرحلتين: مرحلة الاستعمار الغاشم ومرحلة الاستقلال المجيد، كما يعد يوم حداد وحزن على إثر خلع ملك البلاد عن عرشه ونفيه هو وأسرته الكريمة إلى مدغشقر، بالإضافة إلى ذلك فإن العالم بأسره عاين تضحية متبادلة بين الملك وشعبه في أسمى معانيها، ملك يرفض كل المساومات لأجل التنازل عن عرشه وشعب يأبى خلع ملكه وإبعاده عنه، فبذل الغالي والنفيس من أجل استرجاع ملكه واسترداد حريته وكرامته، فكان له ذلك وعاد الملك محمد الخامس إلى وطنه وشعبه مبشرا بنهاية الحجر والوصاية مرددا قوله تعالى (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز)<sup>1</sup>.

بهذا النصر استطاع العلماء أن يلهجوا بفرحة الاستقلال من على المنابر ويحمدوا الله على أن مكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، واستطاع الشعراء أن ينظموا قصائدهم في مدح قائد ومحرر البلاد، وتعزيتة فيمن استشهد من أبناء الوطن كالشهيد الزرقطوني وعلال بن عبد الله وغيرهما، واستطاع زعماء المقاومة أن يتلذذوا بنصرهم ويفخروا بحسن صنيعهم في انسجام تام وتوافق عام، فكان كما قال الشاعر عبد الرحمن الدكالي:

نحن أبناءه جميعا وحاشا      واحد من بنيه يقصد شرا  
إنما الشعب أسرة وبنوه      إخوة كلهم يؤمل خيرا<sup>2</sup>

1 - سورة الحج آية 38.

2 - دعوة الحق عدد دجنبر 1959م.



فكان الضامن لهذه الوحدة في ذلك الوقت هو جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه، إذ لم الشمل ووحده الصفوف، وفي ذلك يقول الشاعر محمد الحلوي:

فأعدها سمحاء تنتظم الشم — ل جميعا وتقتل الأضغانا  
واحتضنها رعية عرفت في — لك شفوفا يوطئ الأحضان<sup>3</sup>

ومن مظاهر هذه الثورة المباركة أنها تحققت وآت ثمارها باجتماع أمرين هما: القول والفعل، أما القول فقد كان للكلمة أثرها في نفوس المقاومين والمناضلين، فكانت المنابر تهتز بخطابات العلماء ورجال المقاومة، وكانت دروس الشيخ محمد بن العربي العلوي بجامع القرويين كمثال على ذلك تذكى روح الوطنية وتبعث على التشبث بالبيعة وعدم التهاون أو التفريط في مقدسات الوطن. وهكذا رويدا رويدا تشبع المغاربة بروح الوطنية الصادقة وتمسكوا ببيعة ملكهم الشرعي وتقوت عزائمهم فكان أول رد فعلي وهو الأمر الثاني المتمثل في تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال برعاية المغفور له محمد الخامس رحمه الله أعقبته بعد ذلك مباركته لهذا المطلب المشروع، هذه المباركة التي تجلت في خطابه الشهير بمدينة طنجة في أبريل من سنة 1947م، وكان من أهم مضامينه حض الشعب على عدم التنازل عن وحدة ترابه وتحقيق الاستقلال الكامل.

وبعد حصول المغرب على استقلاله ورجوع رمز السيادة حاملا معه بشارة الاستقلال لشعبه معلنا عن نهاية عهد الحجر والحماية ألقى خطابه التاريخي وأوصى رعيته بالاستعداد للجهاد الأكبر وتكثيف الجهود من أجل التصدي لكل ما يهدد المغرب من أخطار فقال رحمه الله: (إن في أعناقنا هؤلاء الشهداء الأبرار أمانة يجب علينا تأديتها تأدية تنال رضاهم. تلك هي تكثيل قوانا جميعا للوقوف في وجه كل خطر عدواني، ولحماية استقلالنا الفتى وذلك بالإنحد والتعاون والامثال).

ومن أجل العمل بوصية رمز المقاومة، قام شباب المغرب وفي مقدمتهم ولي العهد آنذاك جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله الذي وقف إلى جانب والده يستنصره ويشد عضده، فخاض معه معركة الاستقلال وكان مرافقا له كظله وخير معين له على الشدائد والمحن، فاستلهم منه شباب المغرب روح التضحية والوفاء فهبوا لمقاومة المستعمر بشتى أنواع المقاومة والنضال فكريا وسياسيا.

3 - من ديوانه: أنغام وأصداء.

وبهذه الطريقة تحقق التحام الشعب بالعرش فكانت له نتائج طيبة استمرت في الزمان والمكان ونعم المغرب بعد ذلك بالطمأنينة والسلام، ويلخص هذا المعنى قول الشاعر عندما قال:

|                                |                                          |
|--------------------------------|------------------------------------------|
| فيا وطن الأحرار نلت المنى فسر  | على نهج أسلاف عظام بإحسان                |
| دعوا للمعالي شعبهم فاستجاب وهـ | وراض على الرشد القويم بإيمان             |
| وثورة نصر قادها ملك رأى        | كرامة شعب لا تنال بخذلان                 |
| فباركها شعب أبي رأى سـلا       | مة العرش والبلاد عزاً للأوطان            |
| فظل على نهج المهام يسير ثا     | بت الخطو يبني كل فضل بإتقان <sup>4</sup> |

إن المغرب بهذا الحدث التاريخي العظيم الذي مكّنه من استعادة حريته قد أعطى دروساً لغيره من البلدان الإفريقية التي عانت كذلك مثل ما عانى، فبمجرد حصول المغرب على استقلاله بادر بكل ثقلهم الأحرار إلى التعاون مع المقاومة في سائر البلاد الإفريقية بحكم الانتماء التاريخي والارتباط الجغرافي بهذه القارة السمراء.

وما سعي أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس أعز الله أمره لتمتين العلاقات وتوطيد الصلات بين المغرب وكثير من جيرانه وبلدان هذه القارة إلا دليل على وعي المغرب بحكومة وشعبها بضرورة تكريس الجهود لجبر كل الأضرار بغية بناء حضارتنا وترميمها وإعادة الاعتبار لهذه القارة والمساهمة في تنمية شعوبها وتقديم أوطانها.

لقد كان خطاب العرش بمناسبة الذكرى الثالثة والستين (63) لثورة الملك والشعب الأثر البالغ في رسم خريطة الطريق الجديدة التي رسمها المغرب في سياسة تعامله مع جيرانه الأفارقة لاسيما بعد عودته إلى مكانه الطبيعي من بين دول القارة السمراء بعد أن أصبح فاعلاً لا يستغنى عنه في جميع مظاهر التنمية المستدامة، علاوة على أنه يمثل الامتداد الطبيعي والعمق الاستراتيجي لإفريقيا، ولا أدل على ذلك نهج المغرب بقيادة جلالته في تسوية ملف المهاجرين الأفارقة من باب سياسة التضامن التي يؤمن بها مع مد يديه إلى كل من أراد المنفعة المشتركة للمواطنين الأفارقة وذلك بإنجاز البنيات التحتية وتوفير فرص الشغل وإنشاء مراكز التكوين المهني والتقني وغير ذلك.

4 - من قصيدة مغرب الأجداد لمحمد الحجوي.

وهما هو المغرب بفضل سياسة جلالته المتبصرة والحكيمة استطاع أن يكسب عددا من المكاسب القارية والدولية بوائه المكانة اللائقة به لكونه ينتظم مع جميع القرارات التي تصدر عن المجتمع الدولي والتي تعزز احترام المغرب لحقوق الإنسان وتضمن له كرامته وحريته وتحفظ له دينه وهويته وتبقي على سلامته وأمنه انطلاقا من إمارة المؤمنين التي تعتبر أحد ثوابت الأمة وتعد الحصن الحصين منذ قرون خلت في استتباب الأمن الروحي لجميع المغاربة.

عندما نستحضر هذه الذكرى فإننا نستحضر معها كثيرا من الدروس والدلالات التي يجب على كل المغاربة الوفاء لها والعمل بها على اعتبار أنها أصبحت جزءا لا يتجزأ من ذاكرة المغرب والمغاربة.

ومن هذه الدروس والدلالات التي تساهم في الحفاظ على هويتنا ومقدساتنا، وتضمن لنا الاستقرار والرفي والازدهار في ظل الألفية الثالثة نذكر ما يلي:

- الاستقلال الذي حققه المغرب بعد ثورة الملك والشعب لم يقدم للمغاربة على طبق من ذهب كما ذكرنا، بل جاء نتيجة عناء الأوفياء وإراقة دماء الشهداء على تربة هذا البلد.

- وعليه، وجبت المحافظة على هذه الحرية واستثمارها في توحيد جميع المغاربة تحت راية واحدة وقيادة شرعية تتمثل في وارث السر وضامن الوحدة الوطنية جلالة الملك محمد السادس أعز الله أمره.

- ألا ندع مجالا للكائدين والحاسدين والمشوشين والفتانين لزرع بذور الشقاق والتفرقة بين أبناء هذا الشعب.

- يعتبر هذا الاستقلال أمانة في أعناق جميع المغاربة كما صرح بذلك أب المقاومة في خطابه بمناسبة استقلال المغرب.

- تحقيق التنمية المستدامة وضمان كرامة المواطن المغربي والحفاظ على حقوقه المشروعة، وهذا هو عين ما يقوم به أمير المؤمنين جلال الملك محمد السادس نصره الله انطلاقا من أعماله المستلهمة من فحوى خطاب جده عندما حض شعبه على الجهاد الأكبر وهو جهاد ضد الفقر والجهل والتخلف. فكانت سياسته أعزه الله رائدة في هذا المجال غايتها تحقيق نهضة شاملة تعم المغاربة قاطبة سواء كانوا في بلدهم الأصلي أو خارجه بدول المهجر، ثم إن هذه السياسة الرشيدة التي همت الجانبين معا



الديني والديني أصبحت تصدر إلى دول عربية وإفريقية بعد النجاح الباهر الذي حققته على كثير من المستويات لاسيما في مجال التنمية البشرية المستدامة واستتباب الأمن الروحي.

يجب على كل المغاربة أن يتحملوا مسؤولياتهم كل بحسب موقعه ويستشعروا ضرورة العمل بما يخدم مصالح هذا البلد، وأن يستغلوا ثرواتهم البشرية والطبيعية الاستغلال الحكيم، علما أن المغرب يملك طاقات بشرية ومادية متنوعة لن يكون معذورا إذا هو أهدرها وأضاعها وفرط فيها، كما يجب أن يعوض تعويضا مضاعفا السنوات التي ضاعت منه بسبب الحماية والاستعمار، وذلك بتكثيف الجهود من أجل مستقبل زاهر وبلد رائد وما ذلك على ملك المغرب وشعبه بعزیز.

## مقاومة الشيخ ماء العينين للاستعمار الفرنسي من خلال كتاب (التوغل في موريتانيا)<sup>1</sup> للضابط جيليه<sup>2</sup>

د. سعيد المغناوي

جامعة سيدي محمد بن عبد الله - فاس -

شرع الفرنسيون في التوغل بموريتانيا وغزوها سنة 1902م<sup>3</sup>، وذلك بعد أن انتهوا مباشرة من غزو السودان؛ ولهذا قال جيليه، أحد الضباط الذين قادوا عملية هذا التوغل: "لقد اكتمل غزو السودان، وكافة جيوشنا في إفريقيا الغربية لم تعد مشغولة من هذه الناحية، فالفرصة إذن تبدو مناسبة للقيام بجهد حقيقي في أرض البيضان"<sup>4</sup>. غير أنهم قرروا في البداية الاكتفاء بالنشاط الدبلوماسي وحده، وعدم استعمال القوة إلا للحفاظ على بعثتهم السلمية.<sup>5</sup> وقد أسندت هذه المهمة لكوبولاني، الذي كانت له خبرة جيدة في الدبلوماسية السلمية. فقد كان مكلفا سنة 1898م بالتفاوض مع قبائل

1 - العنوان الكامل للكتاب باللغة العربية، هو: (التوغل في موريتانيا: اكتشافات... استكشافات... غزو- الأمن في الصحراء والسلم النهائي)، تأليف الضابط لويس إرنست جيليه، ترجمة الدكتور محمد ولد حمينا، دار الضياء للطباعة والنشر، 2007م، 415 صفحة. أما العنوان الكامل للكتاب باللغة الفرنسية، فهو:

La pénétration en Mauritanie. Découverte- Explorations- Conquête. La Police du désert et la Pacification définitive. Ouvrage honoré de souscription des gouvernements généraux et locaux de l'Afrique Occidentale, de l'Afrique Equatoriale et de l'Afrique du Nord/ Commandant breveté Gillier, de l'infanterie coloniale; Préface de M. Carde, gouverneur général de l'Afrique occidentale française. Paris, Librairie Paul Geuthner, 1926.

2 - الضابط جيليه: هو لويس إرنست جيليه، أحد ضباط المشاة الاستعمارية الذين قادوا عملية التوغل الفرنسي في موريتانيا، ولد يوم 20 يناير 1883م بقرية (Lirey) التي تبعد عن العاصمة الفرنسية باريس من جهة جنوبها الشرقي بحوالي 190 كلم، وأصبح عام 1932م ملازم عقيد في هيئة الأركان الخاصة بالمشاة الاستعمارية، وفي 1942م شغل منصب اللواء العام (جنرال دو ديفيزيون) للقوات المستعمرة، وتوفي يوم 27 نونبر 1967م. [انظر موقع (comité des travaux historiques et scientifiques) على الشبكة العنكبوتية <http://cths.fr/an/savant.php?id=125325>، تم تصفحه بتاريخ 09 يونيو 2018م على الساعة الحادية عشرة وثلاثين دقيقة بتوقيت المغرب.

3 - التوغل في موريتانيا، جيليه، ص: 15-16.

4 - نفسه، ص: 125.

5 - نفسه، ص: 126.

البيضان والطوارق القاطنين شمال السودان، وبدراستهم سياسيا ودينيا، وجعلهم يعلنون خضوعهم بطريقة سلمية، من أجل تمكين فرنسا من احتلال المناطق التي يستعصي عليها احتلالها.<sup>6</sup> وفي سنة 1903م عُيِّن مندوبا للحاكم العام ومكلفا بمهمة في الترازرة.<sup>7</sup> وفي سنة 1904م خُوِّل سلطة مفوض الحكومة العامة في موريتانيا.<sup>8</sup> كما كان يتقن اللغة العربية، وله معرفة عميقة بالثقافة المسلمة.<sup>9</sup>

وقد وصفه الضابط جيلبيه فقال: "كان معروفا بدراساته الإسلامية... وكان عليه أيضا أن يدرس الإسلام والطرق الصوفية الموجودة في إفريقيا الغربية، من أجل دعم احتلالنا للمناطق التي تم احتلالها أخيرا، والسماح لنا بتوسيع مجال عملياتنا في الأقاليم التي لا تزال تستعصي علينا، وخاصة الأقاليم الصحراوية"<sup>10</sup>. وأضاف قائلا: "فالفكرة الأم لسياسته، أن يقدم نفسه على أنه مدافع عن المظلومين، مما مكّنه من الحصول على ولاء كثير من قبائل الزوايا (المرابطين). وفوق ذلك، يقول لنا كاتبه كوبولاني: فهو ينوي تفكيك التجمعات المعارضة تدريجيا، بواسطة العملية السياسية وحدها..."<sup>11</sup>. وفي موضع آخر من كتابه قال: "ويستغل كوبولاني بلباقة كذلك التنافس الذي يقسم قبائل البيضان"<sup>12</sup>.

أما خطة كوبولاني العملية التي حددها، فقد كانت ترمي إلى احتلال أقاليم البيضان جيبا جيبا. بدأ بالترازرة، ثم البراكنة، ثم تكانت، وأخيرا آدرار.<sup>13</sup>

وقد نجح فعلا في احتلال الترازرة سنة 1903م، والبراكنة سنة 1904م، وتكانت سنة 1905م؛ معتمدا في كل مرحلة من هذه المراحل على الدبلوماسية والتفاوض - أولا - مع شيوخ البيضان وعلمائهم وذوي النفوذ منهم، من أجل إخضاع أقاليمهم للسلطة الفرنسية. وبعد إعلان خضوعهم، تدخلها القوات العسكرية الفرنسية، وتنشئ فيها مراكز للمراقبة، وتتم بذلك الهيمنة عليها واحتلالها.<sup>14</sup>

6 - التوغل في موريتانيا، ص: 126.

7 - نفسه، ص: 136.

8 - نفسه، ص: 146.

9 - نفسه، ص: 133.

10 - نفسه، ص: 126.

11 - نفسه، ص: 132.

12 - نفسه، ص: 134.

13 - نفسه، ص: 142.

14 - نفسه، ص: 123، 131، 142.



وهذا ما عبّر عنه الضابط جيليه بقوله: "فقرنا إذن أن النشاط الدبلوماسي يكفي وحده، وأن استعمال القوة يكون فقط للحفاظ على البعثة السلمية، ويكون الاحتلال بعد خضوع الإقليم للدبلوماسية السلمية"<sup>15</sup>. وبعد ذلك أوضح كيف كان كوبولاني يمارس هذه السياسة بمهارة، فقال: "وفي مرحلة تمهيدية بدأ كوبولاني اتصالاته مع المشايخ الدينيين الأكثر نفوذاً، مثل الشيخ سيدي والشيخ سعد بوه والشيخ سليمان والعلماء الأكثر شهرة، وضاعف مشاوراته. وبعد مفاوضات شاقة استطاع كوبولاني أن يزيج العقبات واحدة واحدة، وأن يضم إليه المتمردين ويقنع منائيه... وهؤلاء الشيوخ المقدسون هم الذين عند عودتهم إلى أحيائهم يُستخدمون لنشر هذه الأفكار الجديدة، وإقناع ذويهم وتلاميذهم بها. ومن ثم، إقناع قبائل الزوايا وبعض المحاربين بفكرة الخضوع للسلطة الفرنسية، وقبول حمايتها. ومن هنا... فإن هؤلاء الشيوخ المتدينين هم الذين مهدوا لنا الطريق وأدخلونا إلى موريتانيا"<sup>16</sup>.

ومن بين شيوخ البيضان الذين استمالهم كوبولاني وكسب ثقتهم، الشيخ سيديا<sup>17</sup> الذي بفضل صداقته - كما يقول جيليه - تمكّن الفرنسيون من بسط نفوذهم في كافة موريتانيا الجنوبية تقريباً دون قتال.<sup>18</sup> كما قام بإصدار فتوى تبين أن احتلال الفرنسيين لبلاد البيضان نعمة من الله.<sup>19</sup>

ورغم ما حققه كوبولاني من إنجازات عن طريق الدبلوماسية والمفاوضات، فإن سياسته لم تنجح - مع ذلك - في استمالة بعض شيوخ الزوايا، وفي مقدمتهم الشيخ ماء العينين وابنه الشيخ حسنة؛ كما لم تفلح في إقناع بعض القبائل، مثل إدوعيش وقبائل آدرار. وقد صرح بذلك الضابط جيليه، فقال: "ومفاوضات كوبولاني مع إدوعيش وقبائل آدرار يبدو أنها لا تعطي أي نتيجة، وسياسته في التفكيك منيت هذه المرة بالإخفاق. فقط كتته وحدهم يوافقون؛ لأنهم غلبوا وحُجِّموا من قبل إدوعيش، ويأملون أن يجدوا معنا ما يمكنهم من الانتقام. وقد كان أغلبهم لاجئاً في الحوض، فعمل كوبولاني على إعادتهم إلى تكانت ليحلوا محل إدوعيش المتمردين. فاستجاب شيخهم محمد المختار لنداء كوبولاني، فجاء للتباحث معه، ولكنه سبق أن أشرب نفوذ عدونا العنيد،

15 - التوغل في موريتانيا، ص: 126.

16 - نفسه، ص: 133.

17 - هو الشيخ سيديا بابا بن الشيخ سيدي محمد، توفي يوم الخميس ثالث جمادى الثانية سنة 1342هـ عن 64 سنة. [انظر: حياة موريتانيا، المختار بن حامد، (الدار العربية للكتاب)، 350/2]

18 - التوغل في موريتانيا، ص: 133-134.

19 - نفسه، ص: 135.

مرابط السهارة، ماء العينين. فابنه الشيخ حسنة لدى إدو عيش، يدعو للمقاومة حتى النهاية"<sup>20</sup>. وقال في موضع آخر: "الأخبار الواردة من آدرار غير مبشرة، إذ تفيد بأن القبائل المحاربة في تلك الأقطار توحدت مع أولاد بالسباع والمتمردين من التراززة، بهدف قطع الطريق أمام البعثة. والأمير الشاب لآدرار، ولد عيدة، الذي تربى في زاوية ماء العينين، يكتب إلى كوبولاني، يقول له: إن بلده (آدرار) تحت حماية سلطان المغرب، وبأنه سيظل في سلم معنا ما دمنا في سلم مع سلطانه"<sup>21</sup>.

وعندما استقرت البعثة الفرنسية في تجكجة بتكانت على كتيب في مشارف القصر، وبدأت في بناء موقع هناك، انسابت تحت غطاء النخيل في جنح الظلام مجموعة من عشرين مقاوما من آدرار بقيادة الشريف سيد ولد مولاي الزين، حتى وصلت إلى مدخله، وقتلت بطلقة نارية واحدة كوبولاني الذي كان نائما مستندا إلى الحائط، وذلك يوم 12 مايو 1905م عند الساعة العاشرة مساء<sup>22</sup>.

وبمقتل كوبولاني تم وضع حد لسياسة التوغل السلمي في أقاليم البيضان<sup>23</sup>. وهي سياسة خاصة به، حققت نجاحات باهرة، حسب رأي الضابط جيلبيه؛ لأنه كما قال: "عرف كيف يستخدم- وبصورة لم يستطع أي شخص آخر أن يفعل مثله- التنافس واختلاف المصالح للأفراد والجماعات، ونجح بهذا الأسلوب في أن ييسر نفوذنا على جزء كبير من موريتانيا، في أقصر مدة، وبأقل تكلفة، وبالحد الأدنى من إراقة الدم. ولم يبق له لإكمال مهمته إلا إتمام دخول آدرار، المرحلة الأخيرة من هذا البرنامج الكبير الذي حدده لنفسه، والذي تم تنفيذه نقطة نقطة حسب التوقعات. وكان سيتمه، لولا أنه سقط تحت ضربات متعصب من أولاد النور. وبهذه السياسة الذكية خدم كوبولاني القضية الفرنسية في موريتانيا حتى بعد موته، ذلك أنه عرف كيف يعقد مع بعض كبار الشيوخ، وخاصة كبار شيوخ الزوايا، صداقات حصدنا نحن ثمارها فيما بعد. وظلت ذكراه ردحا طويلا من الزمن مهيبة عند قبائل الزوايا، الذين كانوا يرون فيه ممثل فرنسا المتسامحة والحضارية"<sup>24</sup>.

وقد اتهم الضابط جيلبيه الشيخ ماء العينين بالتحريض على قتل كوبولاني، وذلك في معرض حديثه عن الآثار السلبية المترتبة عن مقتله، فقال: "وانتشر مقتل كوبولاني بسرعة في موريتانيا كاملة،

20 - التوغل في موريتانيا، ص: 147-148.

21 - نفسه، ص: 153.

22 - نفسه، ص: 152، 154.

23 - نفسه، ص: 155.

24 - نفسه، ص: 156.

حيث ترتبت النتائج الخطيرة من وجهة النظر المتعلق بالنشاط السياسي للبلاد. فكل القبائل التي كانت قد وصلت في محادثات من أجل إعلان الخضوع، بفضل مهاراته في المفاوضات، استعادت فوراً حريتها في التصرف. وهناك قبائل أو فصائل سبق أن أعلنت خضوعها، ذهبت متمردة. وأمير آدرار، وكذلك ماء العينين - كما سنعلم لاحقاً - والذي حرص على قتل كوبولاني، يَعتَبِرُ هذا الحدث نجاحاً مهماً. فأصبحت ثقتهم، وتصميمهم على مواجهتنا بالمقاومة أكثر حيوية وأشد دعماً<sup>25</sup>.

ويُستنتج من هذه المعطيات، أن المقاومة قد أحرزت نصراً في هذه الآونة، وأنها ستحاول تسديد ضربات أخرى للمستعمر، لإرغامه على العودة من حيث أتى أو التقهقر إلى الوراء. وهذا ما حدث بالفعل، فقد لاحظ الفرنسيون هيجاناً بآدرار، وتحريضاً لأميرها سيدي أحمد ولد عيدة<sup>26</sup>:

- من إدوعيش الجنوب، الذين يدفعونه للهجوم عليهم وإخراجهم من تكانت، قبل أن يتمكنوا من القيام بعملية داخل أرضه.

- ومن الشيخ ماء العينين في الشمال، الذي يزوده بالسلاح السريع الطلق والذخيرة.

ويبدو أن الشيخ ماء العينين قد بدأ منذ 1905م يقض مضجع الفرنسيين.<sup>27</sup> فقد بدأ ينكشف - بالنسبة لهم - بمناسبة مقتل كوبولاني.<sup>28</sup> ومنذ ذلك الحين، سيصبح عدوهم العنيد<sup>29</sup>، ومن أخطر وألد أعدائهم.<sup>30</sup>

وقد اتهموه بأمور سردها الضابط جيليه على النحو الآتي<sup>31</sup>:

- "فهو الذي لدى زاويته بالساقية الحمراء تنتظم المقاومة ضدنا".

- "ويكتب إلى كافة زوايا موريتانيا، يناشدهم الله بأن يحملوا السلاح ليوقفوا تقدمنا، ويردونا إلى الجنوب".

25 - التوغل في موريتانيا، ص: 159.

26 - نفسه، ص: 161.

27 - قال الضابط جيليه: "وقد كان هؤلاء (الشيخ ماء العينين وأتباعه) حتى بداية سنة 1905م خارج القضية، حسب ما يبدو. فانتهاز كوبولاني الفرصة لإعادة تنظيم البعثة، بهدف المسير نحو الشمال". [انظر: التوغل في موريتانيا، ص: 148].

28 - التوغل في موريتانيا، ص: 161.

29 - نفسه، ص: 148.

30 - نفسه، ص: 161.

31 - نفسه، ص: 161-163.



- "وتجوب رسله مخيمات (تكانت) الرقية والحوض، وحتى المناطق الخاضعة من موريتانيا الواطئة، داعين للحرب المقدسة (الجهاد)، وواعدين بالمساعدة بالسلاح والذخيرة، ودعم سلطان المغرب".

- "ووجدت دعوته صدى، وخاصة في آدرار قريبا منه، حيث أرسل العديد من أولاده لإنعاش حماس المترددين. والأمير الشاب الذي تربى في أحضان زاويته، طبعا يعتبر مكسبا (دون شك)".

- "ومن جهة أخرى يثير اهتمام سلطان المغرب، الذي - لكي يحثه على الاهتمام بآدرار - يصور له البلد بأنه منطقة غنية، وبأنه جزء طبيعي من إمبراطوريته".

- "ولم يقتصر نشاطه على الناحية المعنوية فقط، وإنما كان يزود أعداءنا بالسلاح السريع الطلق والذخيرة، التي كانت بعض السفن المهربة للسلاح تأتي لتحت وتفرغ قريبا من إقليمه في رأس الطرفاية. فاستفادت قبائل عديدة من (تكانت) - سبق أن أعلنت خضوعها لكوبولاني - من هذه الظروف، للرجوع في تعهداتها، وذهبت منشقة إلى آدرار، حيث سيزداد بهم عدد الأعداء، وتشكل في هذا البلد نواة معارضة، أصبحت مصدر قلق وإزعاج".

- ولما لم يتمكن من جمع القبائل "وضبطهم وتوجيههم ضدنا، استقدم إليه في السهارة الشيوخ الأساسيين، وربطهم بممثل سلطان المغرب. فرجعوا إلى آدرار مرتفعي المعنويات، متوفرين على أسلحة سريعة الطلق وذخائر كثيرة. وتبعهم شريف مغربي، هو مولاي إدريس، الذي يزعم أنه عم السلطان مولاي حفيظ. أرسل من قبل هذا الأخير، ليطلب من الفرنسيين مغادرة موريتانيا، وإذا اقتضى الأمر إعلان الجهاد ضدهم، من أجل طردهم من البلاد التي يجب أن تعود تحت إدارة السلطان الشرعي".

وفي تفاصيل ما قام به الشريف مولاي إدريس المبعوث السلطاني فور وصوله إلى آدرار، يقول الضابط جيليه أنه اهتم بتنظيم المحاربين، ثم غادرها على رأس حركة مؤلفة في مجملها من أولاد السباع وإدوعيشو مشظوف، لديهم 500 مدفع، واتجه نحو تكانت، فبعث إلى النقيب الفرنسي تيسو (Tissot) إنذارا بإخلائها. وفي معركة جرت بينه وبين القوات الفرنسية بـ "النيملان"، ألحق بالمستعمرين خسائر مهمة، كانت حصيلتها مقتل أربعة ضباط و15 من الرماة، بالإضافة إلى 26 جريحاً<sup>32</sup>.

32 - التوغل في موريتانيا، ص: 163-165.

وبعد ذلك ضرب الشريف مولاي إدريس الحصار على تجكجة بحوالي ثلاثة آلاف رجل من البيضان لمدة 24 يوما، ثم انسحب إلى آدرار واستقر بوادان في انتظار تعزيزات ستصله من المغرب. وفي بداية 1907م غادر آدرار ورجع إلى مدينة فاس<sup>33</sup>.

وعلى الرغم من إخفاقهم في تحرير تكانت وما جاورها، فقد تابع المقاومون البيضان مسيرة الكفاح والنضال، وسددوا ضربات موجعة للمستعمر من حين لآخر، ولم تنل من عزيمتهم لا حامياته الثابتة التي أنشأها، ولا تعزيزاته العسكرية على اختلاف أنواعها، بما فيها فرق الجمالة المتحركة التي اعتقد أنها قادرة على مطارتهم والقضاء عليهم<sup>34</sup>.

ففي شهر فبراير من سنة 1907م - مثلاً - أحرق عدد من البيضان قرية (مكة)، فطاردهم الملازم الفرنسي شميت (Schmitt) على رأس فريق من الجمالة ولحق بهم، قال الضابط جيليه: "وهرب البيضان بعد أن فقدوا سبعة قتلى و8 مدافع و14 جملاً"<sup>35</sup>.

وفي شهر مارس من نفس السنة نهب عدد من قبيلة العلب زهاء المائة من الجمال لقبيلة تجكانت، فلحق بهم الرقيب لبورد (Laborde) قريبا من (سهوت الماء)، قال الضابط جيليه: "وقتل منهم ثلاثة رجال، وأسر ثلاثة، واستعاد السلب"<sup>36</sup>.

وفي شهر يونيو من نفس السنة نجح ركب من (مجبور) مؤلف من ثلاثين مقاوما قادما من آدرار في الانقضااض على مخيم لكتيبة الجمالة الأولى المستقرة على بعد 6 كلم من (أخروفة)، واستولوا بغتة على زهاء الأربعين من الجمال بعد أن قتلوا اثنين من الحراس وأخذوا أسلحتهم. وعندما علم الإداري (Theveniaut) بذلك، بعث غارة معاكسة مؤلفة من رماة الجمالة في بوتلميت وكتيبة الملازم كوسبي (Gouspy) تحت قيادة الملازم شميت (Schmitt)، فلحقوا بهم قريبا من اتوزكت. قال الضابط جيليه: "واستمرت المطاردة حتى (تابرنكوت) في الحدود الجنوبية لمنطقة آدرار الصخرية، حيث اضطرت إلى التوقف بسبب ندرة الآبار والرياح الشرقية التي تؤثر سريعا على مؤن الماء"<sup>37</sup>.

33 - نفسه، ص: 165-166.

34 - نفسه، ص: 171-176.

35 - نفسه، ص: 178.

36 - التوغل في موريتانيا، ص: 178-179.

37 - نفسه، ص: 179-180.

وهكذا استمر البيضان في مقاومة المستعمر الفرنسي دون كلل أو ملل، بل تمكنوا مع بداية سنة 1908م من مضاعفة هجماتهم ضده. كما أعلن الشيخ حسنا<sup>38</sup> بن الشيخ ماء العينين الجهاد في تلك الآونة، وأصدر فتوى تبيح القيام بغزوات ضد القبائل البيضانية الخاضعة للسلطة الفرنسية، وتعتبره عملا صالحا<sup>39</sup>.

وعن هذا الوضع الجديد الذي أصبح يعيشه المستعمر وأتباعه، يقول الضابط جيليه: "وبعد هدوء 1907م، أعقبت ذلك، الفترة الأكثر اضطرابا في تاريخ احتلالنا، عادت (الصربة) التي كانت قد ذهبت تطلب العون من سلطان المغرب إلى آدرار بعناصر حربية مسلحة جدا، زاد من حماسهم الحرية مواعظ وتحريضات مرابط السمارة.

"وكانت ترافقها عصابة من التلاميذ، على رأسها الشيخ حسنا بن ماء العينين...

"فلا يكاد يمضي أسبوع دون أن يشار إلى وجود هذه الجرأة المتصاعدة لأعدائنا في أحد المواقع من الأقاليم التي نحتلها. ولا يكتفي الغزاة بسلب الأشخاص والمواشي لأتباعنا، ولكنهم يهاجمون مفارزنا وقوافلنا، ويقطعون خطوط التلغراف.

"ويركز المنشقون جهودهم الأساسية في اتجاهين، ذَوِي خطورة خاصة حسبما يترأى لهم: موقع (أكجوجت) الذي يمثل إنشاؤه في أعينهم مرحلة أولى من التقدم إلى الشمال، ووحدات الجمالة؛ وخاصة جمالة (تكانت) التي أسسها النقيب مانجان، والتي تشكل تهديدا قريبا في جنب آدرار"<sup>40</sup>.

وبعد ذلك، أورد الضابط جيليه تفاصيل مجموعة من المعارك التي جرت بين المقاومين والمستعمرين، كما يلي:

- في شهري يناير وفبراير من سنة 1908م اشتبكت مجموعات صغيرة من المقاومين مع الملازم شميت (Schmitt) في (أم لعويتكات)، ومع النقيب ربو (Repoux) في (اللبه) و(اكرارت لفرس)<sup>41</sup>.

38 - الشيخ حسنا بن الشيخ ماء العينين هو الذي كان مكلفا بتنظيم الكفاح، وقد أدّى هذه المهمة بذكاء وحماس ملحوظ. هذا ما ذكره الضابط جيليه في ص 182 من كتابه (التوغل في موريتانيا).

39 - التوغل في موريتانيا، ص: 182.

40 - التوغل في موريتانيا، ص: 182-183.

41 - التوغل في موريتانيا، ص: 184.



- وفي 12 مارس من نفس السنة خرج النقيب ربو (Repoux) بمفرزة تتكون من الملازم شमित (Schmitt) والعريفين: أرنو (Arno) وكفاجولي (Gaflojoli)، مع 28 من الرماة و12 من أتباعهم البيضان ودليل، بعد أن وصله الخبر بأن أمير آدرار ولد عيده قد جمع عددا كبيرا من المحاربين بهدف الاستيلاء على (أكجوجت). فوصلوا يوم 13 مارس إلى بئر (تابرنكوت)، ويوم 14 مارس إلى هضبة (اكليب لبكر)، وبلغت يوم 16 مارس إلى (كلات سبت). وخلال معارك مع المقاومين في (اعكيت الرشبه)، قتل النقيب ربو (Repoux)، وجرح الملازم شमित (Schmitt)<sup>42</sup>.

- وفي 07 أبريل من نفس السنة انطلق المساعد جربير (Gerber) من موقع (أكجوجت) بمفرزة تتألف من ضابطي صف أوربيين و20 قناصا، متجها نحو انواكشوط، وعندما كان عند بئر دامان، تمكنت مجموعة من المقاومين تخفي أسلحتها تحت ثيابها من الاقتراب للمعسكر دون أن تلفت الانتباه، فقتلوا الضابطين الأوربيين و15 من القناصة، واستولوا على 16 بندقية وعلى القافلة بكاملها<sup>43</sup>.

- وفي 02 ماي من نفس السنة، تمكن المقاومون الذين يرابطون حول موقع (أكجوجت) من سلب جمال الجمالة<sup>44</sup>. وبذلك نالوا من هبة هذه الفرقة التي كان المستعمر يتباهى بها، ولهذا قال الضابط جبلييه: "وهو حدث خطير ينقص بنسبة كبيرة فعالية فرقنا المتنقلة، وظلت نتأجه تمسنا مدة طويلة"<sup>45</sup>.

- وفي 22 ماي من نفس السنة كان الملازم أوبر (Aubert) متجها من (أكجوجت) إلى (انواكا) مع 48 من السنغاليين و41 من أتباعهم البيضان، فهاجم على بعد 15 كلم إلى الجنوب من (أكجوجت) من قبل 90 رجلا من المقاومين البيضان، بينهم 25 من مريدي الشيخ ماء العينين. وقتل في هذه المعركة من المستعمرين: ثلاثة سنغاليين، بالإضافة إلى جرح رقيب أوربي وثلاثة سنغاليين وستة من أتباعهم البيضان. كما قتل سبعة جمال، وجرح عشرون آخرون<sup>46</sup>.

- وفي 20 يونيو من نفس السنة غادر النقيب بيرجي (Berger) انواكشوط بقافلة من المؤن ومفرزة مؤلفة من الملازمين: سموند (Simond) وأندري (André) ومغنيي (Maugnier) وبولي

42 - التوغل في موريتانيا، ص: 184-188.

43 - نفسه، ص: 188-189.

44 - نفسه، ص: 189.

45 - نفسه، ص: 189.

46 - نفسه، ص: 189-190.

(Pollet)، وأربعة ضباط صف و160 من الحرس والقناصة و22 من البيضان المناصرين لهم. وقبل وصولهم إلى بئر (انورماش)، هاجمهم فريق من المقاومين البيضان لديهم 80 بندقية. قال الضابط جيليه: "وبعد معركة قصيرة، انسحب البيضان تاركين ستة قتلى وسبعة جرحى وستة مدافع من مدافع الطلق السريع"<sup>47</sup>. ثم واصلت هذه القافلة الفرنسية سيرها، فوصلت يوم فاتح أغسطس إلى بئر (برجيمات) بعد أن فقدت 22 من الرماة و35 جملا. وعندما وصلت إلى (أكجوجت) يوم 23 أغسطس لم يبق لها من المؤن ما يكفي<sup>48</sup>.

- وفي شهر يونيو من نفس السنة أيضا باغت فريق من المقاومين بقيادة ولد اديد ابن عم أمير التراززة مفرزة قرب (العزلات) في لبراكنة، كانت تحرس قافلة بقيادة رقيب مدفعية، فقتلوا الحرس واستولوا على القافلة<sup>49</sup>.

- وفي 02 أغسطس من نفس السنة خرج رتل عسكري من سان لويس تحت قيادة الرائد فريرجان، مسلح بما يناهز 200 بندقية، فوصل إلى (أكجوجت) يوم 10 سبتمبر، وأخلى حاميتها العسكرية بعد أن أصبح المستعمر لا يطيق البقاء بهذا الموقع أمام ضغط المقاومة<sup>50</sup>.

غير أن الضابط جيليه نفى أن يكون إخلاؤهم لموقع (أكجوجت) قد تم بسبب ما ألحقه بهم المقاومون من خسائر لا يستهان بها، فقال: "وقد أخلينا (أكجوجت) بسبب سوء الحالة الصحية للحامية، والبيضان يعتقدون أننا تنازلنا أمام ضغط هجوماتهم"<sup>51</sup>.

ولكنه اعترف في مقابل ذلك، بأن إخلاءهم لهذا الموقع قد أدى إلى رفع معنويات المقاومين، وإلى تكثيف حملاتهم ضد الفرنسيين بقيادة الشيخ حسنا بن ماء العينين، فقال: "وارتفعت معنوياتهم، واستغل الشيخ حسنا هذا الحدث معتبرا إياه انتصارا على الفرنسيين وكثف من حملاته"<sup>52</sup>.

47 - التوغل في موريتانيا، ص: 190-191.

48 - نفسه، ص: 191.

49 - نفسه، ص: 202.

50 - نفسه، ص: 191-192.

51 - نفسه، ص: 192.

52 - نفسه، ص: 192.

كما اعترف الضابط جيليه بأن المقاومين البيضان قد أنجزوا كذلك الجزء الثاني من برنامجهم الذي حددوه لأنفسهم، وهو عزل جمالة فكانت عن المعركة<sup>53</sup>. وهي كتيبة كانت تحت قيادة النقيب مانجان، قوامها 114 من الرماة السنغاليين و30 من البيضان الموالين للفرنسيين، ولديها مدفعان رشاشان. وكان مانجان هذا قد ذاع صيته، وتجاوزت سمعة فرقة الجمالة التي نظمها حدود الصحراء إلى الصويرة، غير أن كل ذلك لم يمنع المقاومين البيضان من التصدي له وقتله<sup>54</sup>.

ففي 12 يونيو من سنة 1908م توصل برسالة منهم حملها إليه رجل من أنمادي، يقولون له فيها: "... لماذا جئت إلى أرض الله هذه... إن شهرتك تجاوزت حدود البلاد، ولكننا لا نخافك، نريد أن نقاتلك بوجه مكشوف، وبعدد مماثل، أنتم 120 ونحن 120، وسنغلبكم بعون الله"<sup>55</sup>. وقد اعتبر الضابط جيليه هذا بمثابة تحد للنقيب مانجان الذي لا يخشى التهديدات، فقال: "إنه التحدي من أهل ماء العينين، يُوجّه إلى النقيب مانجان... ولكن مانجان لم يكن بالرجل الذي يرتاع من التهديدات"<sup>56</sup>.

وفي 13 يونيو من نفس السنة، أي بعد ذلك بيوم واحد، لما ذهب النقيب مانجان إلى منطقة (المينان) على رأس 35 عسكريا مسلحين ببنادق، بالإضافة إلى الرقيب مغنين، هاجمهم المقاومون، فأصابوا مانجان إصابة قاتلة في رأسه، وقتلوا الرقيب مغنين وكافة القناصة الذين كانوا معه، فأصبح المعسكر غنيمة لهم. كما قتلوا الرجال السبعة الذين كانوا واردة المفروزة<sup>57</sup>.

وفي 14 يونيو من نفس السنة شن المقاومون هجوما على من بقي على قيد الحياة من كتيبة الجمالة التي كانت تحت قيادة النقيب مانجان متمركزة في (تالمست)، وألحقوا بهم خسائر<sup>58</sup> أقر بها الضابط جيليه فقال: "وكانت خسائرننا في (تالمست) عشرة قتلى من القناصة وواحد من القوم وامرأة، وتسعة جرحى من القناصة واثنين من القوم جرحى. وقُتل 20 جملا خلال المعركة، وذُعر 177 جملا بسبب صفير الرصاص وأصوات المعركة وعبرت خطوطنا وندت نحو جانب البيضان"<sup>59</sup>.

53 - التوغل في موريتانيا، ص: 192.

54 - نفسه، ص: 193-194 وهامشها.

55 - نفسه، ص: 194-195.

56 - نفسه، ص: 194-195.

57 - نفسه، ص: 195-196.

58 - نفسه، ص: 197-199.

59 - نفسه، ص: 199.



كما اعترف بنجاح المقاومة في تحقيق أهدافها، وبتنامي خطرهما وقدراتها وعدد عملياتها، فقال: "وقد حقق البيضان الهدفين الأساسيين اللذين اختطا لأنفسهم، وهما: تدمير موقع (أكجوجت) المتقدم، وتدمير الفرق المتنقلة.

"وشجعهم هذا النجاح، فأصبحت موريتانيا عمليا مكتسحا للغارات التي تهاجم مخيمات الخاضعين ومفارزنا، قاطعة الطرق، سالبة القوافل، مفسدة خطوط الاتصال بالتلغراف، ناهية الجمال للحيلولة دون إعادة تشكيل وحدات الجمالة"<sup>60</sup>.

ثم ذكر الضابط جيلبييه باختصار شديد، مجموعة أخرى من الوقائع العسكرية الكبيرة التي جرت بين المقاومين والمستعمرين، نوردها على الترتيب التالي:

- في شهر يوليوز من سنة 1908م هاجمت مجموعة من البيضان مخزن التاجر م. روكلس (M.Raucoules)، فلحقهم الملازم برتومي (Berthomé) على رأس فرقة من الجمالة<sup>61</sup>.

- وفي 10 أغسطس من نفس السنة هاجم فريق من 40 من البيضان نخيل قلعة كوبولاني، وساقوا من حواليه 29 جملا و50 بقرة و250 نعجة أو ماعزا. فطاردهم النقيب بوتان والملازم مركني ومعهما 20 من القناصة وكتيبة من الفرسان، وعندما لحقوا بهم قتلوا منهم خمسة واسترجعوا الغنائم، وأصيب الملازم لابيير (Labrière) قائد الفرسان بضربتي عصا في رأسه من قبل أحد البيضان، واخترقت رصاصة القدم اليسرى لفيلامين (Villemin) رقيب المدفعية<sup>62</sup>.

- وفي 16 أغسطس من نفس السنة هاجمت كتيبة فرنسية بقيادة الرائد شانبر (Chambert) قصر الرشيد بتكانت الذي كان يستقر به شيخ كتته محمد المختار ولد حامد، فأرغمت نيران مدفعيتها المقاومين إلى إخلائه والاختفاء وراء الهضاب الصخرية.<sup>63</sup> قال الضابط جيلبييه: "وقُتل منا قناص واحد، وجرح ضابطا صف أوروبيان: المساعد جرموريني (Germorini) والرقيب باسكتن (Pasquetin)، وستة قناصة جروحا طفيفة"<sup>64</sup>.

60 - التوغل في موريتانيا، ص: 200.

61 - نفسه، ص: 205.

62 - نفسه، ص: 201.

63 - نفسه، ص: 200-202.

64 - نفسه، ص: 202.

- وفي 15 أكتوبر من نفس السنة هاجم 100 من المقاومين البيضان قافلة من زهاء 500 ثور محملة بالمؤن إلى المجرية، تحرسها مفرزة من 50 مدفعا بقيادة الرقيب ألارد (Allard) في بلدة لتفتار. وبعد ساعة من القتال، قُتل الرقيب وأربعة من القناصة، وانسحب البيضان بعد أن فقدوا 13 من رجالهم، ولكنهم استولوا على قافلة الثيران بكاملها تقريبا.<sup>65</sup>

- وفي 16 أكتوبر من نفس السنة انطلق الملازم دسلير (de Solère) من بوتلميت في مطاردة بعض المقاومين، وكانت مفرزته مؤلفة من المساعد الأوروبي برارد (Bérard) ورقيب مدفعية جزائري و27 سنغاليا و12 من البيضان الموالين لهم. غير أنه لم ينج من هذه المفرزة إلا ستة أفراد<sup>66</sup>، ولهذا قال الضابط جيلبييه: "وفي الترابزة منينا بخسائر فادحة، في يوم 16 أكتوبر..."<sup>67</sup>

- وفي 26 نونبر من نفس السنة هاجم المقاومون فرقة تعمل على توصيل خطوط التلغراف بالقرب من لتفتار، فقتلوا سبعة منهم، وجرحوا اثنان جراحا بالغة، وغنموا تسعة بنادق خفيفة<sup>68</sup>.

- وفي نهاية شهر نونبر من نفس السنة غادر الملازم ربول (Reboul) من المذرذرة في الترابزة الغربية، من أجل مجموعة من المقاومين على رأسها ولد اديد الذي هاجم حيا من تندغة. فقتل المقاومون هذا الملازم و12 من الفرسان، واستولوا على 16 حصانا مسرجا و18 سيفًا و14 بندقية خفيفة<sup>69</sup>.

لكن مع بداية شهر دجنبر من سنة 1908م أدرك المستعمر الفرنسي بأنه قد مني فعلا بخسائر فادحة، وأن مواقعه وحامياتها قد أصبحت عديمة الفائدة أمام الغارات الكثيرة والمفاجئة التي كانت تشنها المقاومة... فقرر عند ذلك التقدم نحو آدرار واحتلالها؛ لأنه كان يعتبرها وكرا للمقاومين وملاذا آمنا لهم. ولتحقيق هذا الغرض تم تجميع رتل من جميع أنواع الأسلحة، يبلغ عدد أفراداه أكثر من ألف محارب تحت قيادة العقيد غورو<sup>70</sup>.

65 - نفسه، ص: 202.

66 - نفسه، ص: 203-205.

67 - نفسه، ص: 203.

68 - نفسه، ص: 202.

69 - نفسه، ص: 205.

70 - نفسه، ص: 206-210.

وقد انطلقت هذه الحملة العسكرية الفرنسية يوم 06 دجنبر من سنة 1908م، واستمرت إلى غاية شهر أكتوبر من سنة 1909م، حيث انتهت بالاستيلاء على آدرار، وانسحاب المقاومين إلى مناطق أخرى يستطيعون من خلالها مواصلة كفاحهم ضد القوات الغازية<sup>71</sup>.

وتشير فقرات كثيرة في كتاب الضابط جيليه إلى أن المقاومين البيضان بقيادة الشيخ ماء العينين قد أبلوا بلاء حسنا في دفاعهم عن آدرار، وتصدوا للمستعمر بما تيسر لهم من قوة وحكمة وفطنة:

- منها قوله في ص 216: "ويجب أن نكون منصفين لأعدائنا، فقد كانوا أشداء - ظهر 200 أو 300 رجل على بعد 400 مترا دون إطلاق أية طلقة، وارتموا على الحصن، ولكن بفضل الدفاعات الثانوية التي تم ترفيعها خلال الليل توقفوا وتلقوا رشقا بالرصاص عن كثب. لكنهم حاولوا الدوران خلف الموقع، إلا أن الرشاشات صنعت العجب، وأرغم العدو على إخلاء الموقع نهائيا..."

- ومنها قوله في ص 220: "وقد أعلن الشيخ حسنا بن ماء العينين المعروف، الذي ذهب مغلوبا، بأن الفرنسيين يمرون في آدرار ببساطة كما يفعل غزاة البيضان، وأنا سنغادر قريبا ونترك هذا البلد فريسة للنهب. ولكي نُظهر بجدية أنه كاذب وبأننا ليس في نيتنا أن نغادر هذه الشعوب، تم بناء الموقع، وهذا الموقع - إذا سمح لي التعبير - هو الشوكة المغروزة في لحم آدرار"

- ومنها قوله في ص 221-222: "وخلال هذه المدة، كان النقيب بابلون قد بُعث إلى (غسرم)، حيث واجه يوم 28 أبريل هجوما من طلبة ماء العينين القادمين من السهارة مباشرة في خط مستقيم. كان ذلك خلال الليل، وكنا في هدوء عميق، وفجأة دَوّت صرخات؛ إنه العدو الذي استغفل رقابة الخفر ودخل المعسكر، فاستيقظ النقيب بابلون عند الطلقات الأولى... فقتل عن كثب من قبل مجموعة من الأعداء كانوا وسط المعسكر..."

- ومنها قوله في ص 223: "وصل الولي أحد أولاد ماء العينين بجرأة إلى (أقصير الطرشان) على بعد 25 كلمترا من أطار، وقد جاء لمحاربتنا، فتلقى النقيب ديبرتويس على رأس فرق راكبة، الأوامر بعبور ممرات تنزاك والهجوم على مؤخرة العدو..."

- ومنها قوله في ص 230: "فأعلنت القبائل المستقرة التي تعيش أساسا على النخيل خضوعها... وبقي فقط أفراد معزولون أو فصائل من بعض القبائل، يخاطرون في خدمة أهل ماء

71- التوغل في موريتانيا، ص: 206.



العينين، فروا إلى الشمال لتضخيم محيط مرابط السمارة. ويوجد من بينهم الأمير الشاب ولد عيده، الذي تربى في زاوية عدونا العنيد، والذي يبدو غير مقدور عليه. وقد استبدلناه بأحد أبناء عمومته، ولأنه لا يستطيع دخول آدرار، فقد ذهب في مغامرة مع مجموعة صغيرة من المخلصين له في تخوم مجاله المفتوح".

- ومنها قوله أيضا في ص 230: "وفي الشمال تعرضت هيبة ماء العينين لمساس حقيقي، فأولاده وتلامذته غادروا آدرار نهائيا، وبدأ هو نفسه يقلق على المستقبل، وفكر في مغادرة السمارة ليستقر في تيزنيت في الجنوب المغربي، من أجل زيادة المسافة التي تفصلنا عنه..."

- ومنها قوله في ص 241: "من وجهة النظر السياسية، اتسمت نهاية سنة 1910م بحدث ذي أهمية قصوى؛ عدونا اللدود الشيخ ماء العينين مات في تيزنيت في عوز تام تقريبا. وعُيّن ابنه الهيبة في خلافته، ولكن هذا الأخير لا يملك كثيرا السلطة والنفوذ اللذين كان أبوه يستخدمهما ضدنا بشكل عنيد. إنها خسارة كبيرة للمنشقين الذين كان المرابط المسن يزودهم بالسلاح والذخيرة، وخاصة الأمير المتمرد ولد عيده الذي أمضى شبابه في السمارة".

ويبدو من خلال ما عبّر به الضابط جيلبييه في هذه الفقرة الأخيرة، أنه جد مسرور بموت الشيخ ماء العينين رحمه الله، الذي قض مضجع المستعمر الفرنسي لسنوات.



## المؤسسات الثقافية السلاوية في عهد الحماية ودورها في رد الاختراق الاستعماري

د. عزيز بويغف

الأكاديمية الجهوية - ورزازات

تعد مدينة سلا من المدن المغربية العريقة التي قامت بدور أساسي في بناء تاريخ المغرب تليده وحديثه، فهي المدينة التي ساهمت في بناء الحضارة المغربية على مر العصور، فكانت عبر التاريخ حاضرة للفكر والثقافة، ومدينة للأولياء والصالحين والأتقياء، وقد كان لها أثر عميق في نشر الدين والدعوة إلى الله بصدق، كما عرفت حاضرة سلا بحركاتها الجهادية المقاومة، والتي كانت ترمي إلى رد المناوئين والغزاة الذين كانت لهم أطماع كبيرة في احتلال المغرب ونهب خيراته، ولعل هذه الحركات هي التي مكنت المدينة من الحفاظ على خصوصيتها الثقافية والحضارية والتاريخية.

وسنحاول في هذا المقال إمطة اللثام عن بعض من المؤسسات الدينية الثقافية، التي عملت طيلة فترة الحماية الفرنسية على مقاومة الاحتلال، ومحاولة تحصين المجتمع السلاوي من خطر الإغراب ثم الاستلاب، وإذكاء أسس فكر مناضل مقاوم يرى في تحصين الهوية المغربية السبيل إلى الارتقاء بالمجتمع، وإخراجه من براثن الجهل والأمية.

لقد كانت رغبة الاستعمار الفرنسي كبيرة في ضرب مقومات الهوية المغربية من الداخل، وتهديم ركائزها، وبالتالي تفتيت الأسس التي قام عليها النسيج المجتمعي السلاوي خاصة، والمغربي على وجه العموم، كانت رغبة الاستعمار التغلغل في دواليب المجتمع السلاوي التي تميزت بخاصية المحافظة، وطمس هويته وخصوصيته ومبادئه التي ظل يؤمن بها، على الرغم من كل محاولات الاختراق التي تعرض لها على مر التاريخ، ونشير في هذا الصدد إلى مؤسسات عريقة أسسها المغاربة قاطبة والسلاويون على وجه الخصوص، وهي مؤسسات يظهر للوهلة الأولى أنها مؤسسات محدودة الأثر والفعل، إلا أن النش في تاريخها وقيمتها الثقافية والحضارية يجعلنا نكتشف الرسالة النبيلة



التي كانت تؤديها وما تزال، وهي رسالة تثقيفية تنويرية عظيمة، تلخصت في العمل على صيانة أصالة وعراقة الثقافة المغربية، وضمان استمرارية خصوصيتها الحضارية، وهذه المؤسسات هي المسجد والزاوية والكتاب ثم المدارس الإسلامية الحرة، هذا دون أن نغفل الإشارة إلى الدور البارز للصحافة في هذا الصدد والأندية الإسلامية.

فكيف تمكنت هذه المؤسسات من أداء رسالتها في صيانة الهوية السلاوية خاصة، والمغربية عامة من خطر الاستلاب الأجنبي، وكيف اجتهد علماء وفقهاء سلا في نشر العلم والمعرفة، وتنشيط الحركة الأدبية والثقافية في المدينة.

### المؤسسات الثقافية في سلا من التنوير الديني إلى التنوير الفكري والثقافي.

لقد عرفت الحياة الأدبية في سلا ازدهارا كبيرا على مر العصور، فأنجبت الفقهاء والعلماء، وكانت وجهة مفضلة للصلحاء وأهل العلم والعرفان يؤمنونها من كل حذب وصوب، وقد عرفت المدينة وأهلها "بالمشاركة التامة في سائر العلوم الإسلامية وغيرها، من علوم الفلسفة القديمة، ولهم في ذلك الموضوعات والتأليف التي تعلن بشفوف رتبهم ومطاولتهم من سواهم من علماء الأقطار"<sup>1</sup>، ما يؤهم وبوأ المدينة مرتبة المركز الحضاري والثقافي الموهل في القدامة والعراقة. إنها بؤرة لتوتر معرفي وفكري، ومنازة جمعت بين الماضي والحاضر، بل وألفت بينهما لتؤسس لمفهوم الصيرورة ثم الامتداد والتراكم. وهذه مقومات يمكن اعتبارها شرطا عميقا من شروط اعتبار أي مركز حضاري ما، مركزا ثقافيا. ولتبين الأمر أكثر نبدأ باستعراض مؤسسات سلا، وبالحدث عن مؤسسة المسجد التي ساهمت بقسط وافر في تشكيل معالم الثقافة والحضارة بها.

### مؤسسة المسجد منبر للتنوير والتثقيف :

لقد قامت المساجد بدور محوري في نشر العلم بسلا، فقد كانت منتشرة في كل مكان ما يوضح تثبت أهلها بدينهم الحنيف، "وقد عد البعض مساجدها فوجدها تصل إلى الستين، فلا يخلو حي أو زقاق من مسجد يحمل اسم الزقاق أو يتنسب إلى مكان مجاور كسوق أو غيره"<sup>2</sup>. ومن أهم المساجد التي كانت تعقد فيها حلقات الدرس ومجالس العلم، المسجد الأعظم، ومسجد سيدي عبد الله

1 - الإتحاف الوجيز (تاريخ العدوتين)، محمد بن علي الدكالي، تحقيق مصطفى بوشعراء، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية سلا، الطبعة الثانية 1996م، ص: 42/41.

2 - المجتمع السلاوي في ظل الحماية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا إعداد العربي واحي، إشراف الدكتور عبدالله العروي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، ص 146.

بوشاقور الذي كان الفقيه علي عواد يدرس به همزية البوصيري، ومسجد سيدي أحمد حجي، ومسجد باب احساين الذي كان يلقي به العلامة محمد بن الطيب الصبيحي دروسا متنوعة في الفقه واللغة، ومسجد الجزارين الذي كان قضاء للتعليم والتنوير. ويعتبر المسجد الأعظم من أهم المراكز العلمية في سلا بناه السلطان يعقوب المنصور الموحي سنة 593هـ، وقد قال عنه ابن علي الدكالي<sup>3</sup> أنه من أعظم مساجد الإسلام وأحسنها شكلا وأفسحها مجالا وأنزهها منظرا<sup>4</sup>. ومن العلماء الذين درسوا بهذا المسجد الفقيه علي النفزاوي الذي تولى القضاء بسلا سنة 1915م، كان يدرس به الأجرومية وألفية ابن مالك، والفقيه الشيخ علي عواد<sup>5</sup> كان يشرح به الهمزية، إلى غير ذلك من العلماء الأجلاء. وقد كانت هناك مساجد أخرى تتصدى لأداء نفس الرسالة التعليمية التثقيفية، كانت منتشرة في كل مكان يؤمها طلبة العلم للاستزادة والتكوين وتلقي دروس في اللغة والبلاغة والعلوم الشرعية.

ومما ميز أداء هذه المساجد، أنها كانت تقدم دروسا دون توقف، مع غلبة سمة التنوع عليها، لأنها كانت تتناول فضلا عن العلوم الشرعية، علوما أخرى تمثلت في مختلف الفنون الأدبية. لقد كانت حلقات الدرس فيها "تتوارث دون انقطاع، ثم إنها كانت متنوعة، فقد جمعت بين العلوم الشرعية والفنون الأدبية"<sup>6</sup>. وقد تحدث العلامة عبد الله الجراري<sup>7</sup> عن طريقة إلقاء هذه الدروس فيها، حيث أشار "إلى أن الأستاذ يجلس مستقبلا القبلة حسب الطريقة القديمة، ويصطف أمامه التلاميذ والطلبة في حلقات متراسة، يستمعون لإملاءاته وشروحه لنصوص الدروس"<sup>8</sup>.

3 - محمد بن محمد بن علي الدكالي السلاوي (ت1364هـ) علامة كبير، شيخ شهير ومؤرخ مقتدر، صاحب التأليف العديدة المفيدة وكلها في تاريخ المغرب. أخذ العلم بفاس على خيرة علمائها في عصره وفي سلا أيضا عن الشيخ أحمد بن خالد الناصري صاحب كتاب الاستقصا، انظر ترجمته في موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق المرحوم الدكتور محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 3188/9.

4 - الإنحاف الوجيز، مصدر سابق، ص 60.

5 - علي بن أبي بكر عواد السلاوي (1260هـ/1354هـ) من بيت شهير بالعلم والجاه، شيخ علامة مشارك مطلع خطيب مصقع وقاض أعدل، أخذ العلم بسلا وفاس على خيرة علماء عصره آنذاك، وتولى قضاء مدينة الجديدة ثم قضاء بلده سلا أولا وثانيا الإمامة والخطابة بجامعها الأعظم. انظر ترجمته في: - موسوعة أعلام المغرب، مصدر سابق: 3044/8.

6 - المجتمع السلاوي في ظل الحماية، مرجع سابق، ص: 147.

7 - عبد الله بن العباس الجراري (1904م/1983م) فقيه أستاذ مقرئ مؤرخ ومؤلف مكث، من مواليد مدينة الرباط له مؤلفات عدة منها دروس التاريخ المغربي وأيضاً كتاب من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، انظر ترجمته في معلمة المغرب، 2950/9.

8 - من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا، د. عبد الله الجراري، مطبعة الأمانة الرباط، الطبعة الأولى غشت 1971م، 190/1.

لقد كان النشاط العلمي في هذه المساجد مستتباً، متجدداً، نشطاً، فنمَّ عن حيوية وعن رغبة صادقة في التحصيل، وفي تجديد المعارف، وأداء الرسالة المنوطة بالعلماء، والتي كانت رسالة تنويرية تثقيفية، وقد كان المرام منها تحريك الراكد وبث الروح في جسد الحركة الثقافية والفكرية في سلا لتأهيلها فيما بعد على خوض غمار الصراع الصعب، الصراع ضد الاستعمار وضد مخططاته.

وقد كان عمل مؤسسة المسجد، مرتبطاً بعمل مؤسسات أخرى أبرزها مؤسسة الزاوية، التي كان لها دور كبير في تنشئة المجتمع وصيانة هويته وثقافته، وقد كان عملها مرتبطاً أيضاً ارتباطاً بعمل المسجد، بل إن هناك مساجد خصصت ركناً من أركانها لعمل الزوايا. ونخصص المبحث الموالي لرصد عمل الزاوية ورسالتها.

### مؤسسة الزاوية فضاء للتفكير والتلاقح الثقافي :

تعد الزوايا من المراكز المهمة التي كان لها باع طويل في نشر العلم والمعرفة، وتثقيف النشء، وتأطير المجتمع، إنها فضلاً عن كونها مجالس للدرس والتحصيل، مركز روحي يتقرب من خلاله إلى الله تعالى وإلى نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم)، إنها مركز تربوي وسياسي "ومكان معد للعبادة، وإيواء الواردين المحتاجين وإطعامهم.. وقيل في تعريفها عند المغاربة أنها مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة.. وقد تكاثرت الزوايا بالمغرب في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، ونمت حولها مدارس استقر فيها طلبة العلم"<sup>9</sup>، وجدير بالذكر أن الزوايا ارتبطت بالمساجد بشكل جلي، فكانت العلاقة بينهما وشيجة، بالنظر إلى الرسالة التي أنيطت بكل منهما. إن الزوايا "لم تكن مختلفة عن المسجد في عقد الحلقات العلمية وبسط مجالس الدرس والتحصيل، ولم تكن مختلفة معه في البرامج والمقررات المألوفة"<sup>10</sup>، ومن أبرز الزوايا التي أطرت الفعل الديني والثقافي المغربي وأثرته، نذكر الزاوية الدلائية، التي كان لها "صيت عظيم، وكان بها من معاطاة العلوم والدؤوب على درسها وإقراءها وقراءتها ليلاً ونهاراً ما تخرج به جماعة من صدور العلماء وأعيانهم، كالشيخ اليوسي وأضرابه، حتى كانت إليها الرحلة في المغرب لا يعدوها الطالب ولا يأمل سواها الراغب"<sup>11</sup>.

وقد لعبت الزوايا دوراً أساسياً في بناء الشخصية الأدبية لسلا، فجعل العائلات السلاوية كان لها ارتباط وثيق بزاوية من الزوايا، لأن "أهلها متعلقون بالأضرحة والأولياء، وجلهم مرتبط بطريقة

9 - الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، د. محمد حجي، المطبعة الوطنية بالرباط، 1964م، ص: 25.

10 - المعرفة/ المؤسسة/ السلطة في الثقافة المغربية بسلا، د. مصطفى الشليح، مطبعة الأمانة الرباط، ط1، 2012م، ص: 72.

11 - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م، 97/6.



من الطرق"<sup>12</sup>. ففي الزاوية الناصرية كان العلامة الفقيه الطيبي الناصري يتصدى لإلقاء دروس في صحيح البخاري، ويشرح الهمزية، وفي الزاوية الكتانية كان الفقيه محمد بن احساين يشرح المرشد المعين، أما في الزاوية الدرقاوية، فقد كان الحديث يدرس على يد الحاج علي بن الطيب الدرقاوي<sup>13</sup>، وأيضا بردة البوصيري على يد العلامة محمد الصبيحي<sup>14</sup>. "فسكان سلا اعتمدوا الزوايا معاهد ثقافية، وارتبطوا بها لكونها أضرحة أولياء الله، فهم متعلقون بهم ومحبون لذريتهم"<sup>15</sup>.

وعموما فقد كانت المساجد والزوايا منتشرة في كل مكان بسلا، وكانت تلعب دورا مهما في نشر العلم وتوعية الساكنة ما أفرز جيلا كبيرا من الرواد والعلماء والفقهاء، كانوا وما يزالون فخرا لهذه المدينة العريقة. لقد أدت هذه المؤسسات مهمتها التنويرية والتثقيفية، وقامت بدورها أحسن قيام، فكانت تعج بالحركة والحيوية، ما أرسى مبادئ تلاقح ثقافي أعطى ثماره، وقد أشار إلى ذلك العلامة عبد الله الجراري في قوله: "كانت جل مساجد الرباط وسلا وسواهما من مدن المغرب وقراه، ما كان منها في الشوارع الكبرى أو داخل الدروب والسكك وحتى الزوايا كالناصرية، والقادرية، والتيجانية، الكل يعج بالدروس العلمية على اختلاف ألوانها ومستويات تلاميذها"<sup>16</sup>.

لقد كانت الزوايا فضاء رحبا للتثقيف والتنوير، كانت مؤسسات لتبادل الأفكار واكتساب فكر نقدي خلاق، أثر في فكر الناشئة، وجعلها تخلص لثقافتها العريقة وتتشبث بهويتها وتخلص للوطن ولقدسائه، ما جعلها رقما صعبا في معادلة الصراع مع الاستعمار الذي كان من أبرز مراميه ضرب الثقافة المغربية من الداخل، والتأثير في أسسها وبالتالي اختراق بنيات المجتمع.

هذا وقد واكب عمل كل من مؤسسة المسجد والزاوية، مؤسسة أخرى لا تقل أهمية عنهما ألا وهي مؤسسة الكُتَّاب، وهذا ما سنحاول إمطة اللثام عنه من خلال المبحث الموالي.

12 - المجتمع السلاوي في ظل الحماية، مرجع سابق ص 148.

13 - علي ابن الطيب بن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي (1883م/1946م) فقيه وعلامة ومدرس، حفظ القرآن، وهو صغير وبعد وفاة أبيه انتقل من قريته ببني زروال إلى مدينة فاس طلبا للعلم، ثم رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج، فالتقى بأعلام مصر والحرمين الشريفين وأخذ عنهم. انظر ترجمته في موسوعة أعلام المغرب، مصدر سابق: 3212/9، ومعلمة المغرب، مصدر سابق: 4015/12.

14 - محمد بن الطيب الصبيحي (1882م/1969م) باشا سلا وعالمها الشهير، فقيه علامة من علماء سلا المرموقين، أخذ علوما عدة على يد خيرة العلماء سواء في سلا أو في فاس، وأسند إليه منصب باشوية سلا سنة 1914 بعد وفاة والده، انظر ترجمته في معلمة المغرب، مصدر سابق: 5492/16.

15 - الحياة الأدبية في سلا 1912-1956م. دبلوم الدراسات العليا إعداد الدكتور المصطفى الشليح، إشراف الدكتور عباس الجراري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط 1986-1987م، ص 44.

16 - من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، عبد الله الجراري، مصدر سابق، 191/1.

## مؤسسة الكتّاب/ الفضاء الأول

هذا ويعد الكتاب مهد المعرفة ومنبعها، إنه المقصد الأول والمنهل الذي ينهل منه الطلاب أوليات القراءة وحفظ القرآن، فيكتسبون بذلك الفرش الأساس الذي يمكنهم من ارتياد حلقات الدرس في المساجد والزوايا. من هنا اكتسب الكتاب أهميته، كونه المؤسسة الأولى التي يرتادها التلميذ، والتي يتلقى فيها "برنامجا تعليميا يهدف إلى تعليم القراءة والكتابة، والتعرف إلى المبادئ الدينية، وحفظ أحزاب من القرآن الكريم، زيادة على تعاطي بعض المبادئ الأولية في اللغة العربية"<sup>17</sup>. إن أهمية الكتاب تتلخص في استهدافه لشرائح اجتماعية واسعة، خاصة منها الشرائح الشعبية التي رأت في هذه المؤسسة فرصة لتلقي أبنائها تعليما دينيا تقليديا محافظا، وهذا ما يفسر الانتشار الكبير للكتّاب في شتى ربوع المغرب، خاصة الحواضر الكبرى التي عرفت بنشاطها الثقافي والعلمي، لقد رأى المغاربة فيه "عملية ضرورية في التنشئة الأولى، ولذلك كان هذا النمط من المدارس منبثا في جميع أنحاء المغرب، وكان أبناء المغاربة يؤمنونه على اختلاف طبقاتهم دونما تلكؤ أو تقاعس"<sup>18</sup>.

ومما يميز الكتاتيب أنها كانت منتشرة في كل مكان، ويحضرها عدد من التلاميذ من مختلف الفئات الشعبية "وقد كان السلاويون يحرصون على إيفاد أبنائهم لهذه الكتاتيب، لأنها مرحلة ضرورية يمر منها الأطفال قبل أن ينالوا حظوة الحضور في حلقات المساجد والزوايا"<sup>19</sup>. وقد كان الصبية يأخذون فيها مبادئ القراءة والكتابة وبعض التعاليم الدينية، كما كان حفظ القرآن الكريم من بين الدروس الأساسية التي كانت تلقن للصبية. ومما تميزت به هذه الكتاتيب القرآنية أيضا "أنها كانت خطوة مهمة نحو إعداد التلميذ للدروس العليا في المساجد والأضرحة، لأنها كانت تزوده بالاولويات التي تساعد على المتابعة والفهم"<sup>20</sup>.

لقد كان الكتاب مظهرا من مظاهر الحياة الثقافية بسلا، ومركزا أساسيا من مراكز التعليم ومحاربة الأمية والجهل، وقد مر منه عدد كبير من العلماء والفقهاء والشعراء الذين تركوا فيما بعد بصمتهم في معترك الأدب المغربي الوارف. ومن أبرز الفقهاء الذين وقفوا حياتهم للتدريس بكتاتيب

17 - قصة النهضة، د. أبو بكر القادري، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 1984م، ص: 28.

18 - الحياة الأدبية في سلا 1912/1956، مرجع سابق، 46/1.

19 - المجتمع السلاوي في ظل الحماية، مرجع سابق، ص 149.

20 - الحياة الأدبية في سلا 1912-1956م، مرجع سابق، ص 46.

سلا، نذكر الفقيه محمد بن عبد الله بريطل المتوفى سنة 1954م والذي كان له كتاب خاص بتلقين القرآن الكريم بأحرفه السبعة، كما كانت له دراية بالفن علما وتطبيقا. وقد تخرج على يديه مجموعة كبيرة من طلبة سلا ومنهم محمد بن الطيب الصبيحي باشا سلا، والفقيه العلامة محمد بن أحمد البارودي، الذي كانت له ضلعة علمية خاصة في العربية، وتعاطى التدريس (تعليم الصبيان) لمدة قصيرة من حياته قبل أن يوافيه الأجل. ولم تقتصر هذه الكتابات على زقاق دون آخر ولكنها كانت منتشرة في كل أرجاء سلا وفي المغرب برمته، ولذلك ما يبرره مادامت الثقافة التي أرست أسسها العميقة في كل المراكز الثقافية والدينية بالمغرب.

ونعرج في الأخير على مؤسسة أخيرة، كان لها دورها الأساس في تثقيف المجتمع وإخراجه من براثن الجهل والامية، وهي مؤسسة المدارس العتيقة التي كانت منتشرة في كل مكان، وكانت سمعتها طيبة لأنها كانت بؤرة لفعل تثقيفي تنويري عميق، لذلك نجد أن سلطات الحماية الفرنسية قد حاربتها بكل ما أوتيت من قوة وجبروت، وهو ما سنحاول إبرازه من خلال هذا المبحث الأخير.

### المدارس العتيقة ومؤسسات للتثقيف ومواجهة الغزو الأجنبي:

إذا كان السلاويون حريصين على تعليم أبنائهم في هذه المؤسسات الثلاث: "المسجد"، "الزاوية"، "الكتاب"، فإن العكس هو الغالب في تعاملهم مع المؤسسات التعليمية التي أنشأتها سلطات الحماية ومنها المدارس، وقد تزامنت هذه المرحلة مع السياسة التعليمية التي كان قد تبناها ليوطي وأعوانه، والتي اتسمت "بكثير من الارتجال والتجريبية قبل أن تتم عملية واسعة للتصحيح سنة 1921م، استهدفت هيكلية التعليم وإعطائه نفسا جديدا لجعله في خدمة المخطط الاستعماري الفرنسي"<sup>21</sup>. ومن أهم المدارس التي أنشأتها سلطات الحماية "مدرسة أبناء الأعيان"، والتي كان من أول تلامذتها اثنان من أبناء الباشا الطيب الصبيحي<sup>22</sup>، واثنان من أبناء أحمد الناصري المؤرخ، وقد ضمت هذه المدرسة خمسة أقسام، "وكان عدد مدرسيها خمسة للغات الفرنسية، مدرسو واحد للغات العربية ومعلم لتعليم القرآن. أما القسم العربي فيدرس فيه التلاميذ مبادئ بعض العلوم، كاللغة والتوحيد والأدب والصرف والنحو والإنشاء والرسم"<sup>23</sup>. وقد تحفظ العديد من سكان سلا على

21 - المجتمع السلاوي في ظل الحماية، مرجع سابق، ص 151.

22 - الطيب الصبيحي بن الحاج محمد (1850م/1916م) عامل سلا، تعاطى التجارة وسافر من أجلها إلى جهات مختلفة مثل فاس ووهران، انظر ترجمته في معلمة المغرب، مصدر سابق، 5490/16.

23 - جريدة السعادة، مقال لمحمد الغربي تحت عنوان: سير التعليم والمعارف بسلا، عدد 4418، 23 ماي 1937م.



إرسال أبنائهم إلى هذه المدرسة، وذلك بسبب الطابع الفرنسي الذي كان يغلب عليها، وكذلك مخافة تلقين أبنائهم علوما تتنافى مع أصولهم الدينية.

وإلى جانب هذه المدرسة أسست الحماية مدرسة أخرى صناعية خصصتها لأبناء الطبقة الشعبية، ويتصدى للتكوين بها حرفيون في التجارة وفي الصناعة وفي صناعة الخشب الرفيعة. كما تم إنشاء مدرسة خاصة بالبنات، وهي الأولى بالمغرب خلال عهد الحماية، تولت تلقين الفتيات السلاويات المنحدرات من الطبقة الشعبية أصول فنون التطريز والخياطة ونسج الزرابي، تحت إشراف معلمات فرنسيات وفقهية مسلمة.

لقد اتسمت السياسة التعليمية التي انتهجها ليوطي في سلا بالطابع الطبقي، إذ كان الهدف منها إبقاء كل فئة على حالها، فابن الفلاح الذي كان يتلقى تعليما صناعيا سيعود تلقائيا إلى الأرض بعد إتمام المدرسة، وابن العامل سيعود بدوره ليصبح عاملا كأبيه، وابن التاجر تاجرا، ما يبرر تفرع هذا التعليم إلى تعليم خاص بأبناء الأعيان وتعليم صناعي، وتعليم للفرنسيين وتعليم لليهود. كما أن هذا التعليم جعل من أولوياته نشر وترسيخ الثقافة واللغة الفرنسية. أما بالنسبة لتعليم الفتيات، فقد كان الهدف منه التوغل داخل المجتمع السلاوي، بعدما فشلت سياسة استقطاب شباب من فئات ضعيفة وتلقينهم تعليما حرفيا، "حيث لم يكن للمدارس الصناعية نتيجة تذكر لأنها كانت تهدف إلى تكوين التلاميذ تكوينا ابتدائيا"<sup>24</sup>. وقد كان من نتائج هذه السياسة الاستعمارية عزوف السلاويين عن تسجيل أبنائهم في مدرسة أبناء الأعيان، ما مهد الطريق أمام بروز أشكال تعليمية أخرى، تمثلت في قيام حركة تأسيس المدارس الحرة بسلا انطلاقا من سنة 1921م.

وقد كانت أول مدرسة حرة بمدينة سلا، تلك التي أسست بحي "درب العلو" جوار زاوية سيدي الهاشمي الطالب، وكان يديرها العلامة زين العابدين بنعبود<sup>25</sup>، والعلامة شيخ الجماعة سيدي أحمد بن عبد النبي. وبعد ذلك تأسست مدارس أخرى، كمدرسة الفقيه محمد بن احساين النجار سنة 1922م بحومة باب سبتة، والمدرسة العبادية التي كان يديرها الفقيه العربي العبادي، ومدرسة

24 - قصة النهضة، مرجع سابق، ص 31.

25 - زين العابدين بن عبود (1312هـ/1390هـ) الشيخ العلامة المشارك والحافظ المستحضر المطلع المرشد إلى الدين الصحيح والعلم النافع، أخذ العلم عن علماء سلا والرباط، وأخذ علم التصوف عن أبيه، أصله من مكناس ومولده في سلا، انظر ترجمته في موسوعة أعلام المغرب، مصدر سابق، 3419/9.

الفقيه محمد المريني<sup>26</sup>، وقد تمكنت هذه المدارس من تسجيل عدد كبير من الطلبة في صفوفها، حيث "استطاعت وفي ظرف وجيز أن تستقطب أبناء الأعيان بالمدينة، لاسيما وأنها حددت هويتها منذ البداية في أنها مدارس إسلامية وطنية"<sup>27</sup>؛ كما أنها كانت تقدم دروسا في العلوم الدينية من فقه وتوحيد، وكذلك في التاريخ والجغرافيا والحساب، وقد اهتمت كذلك بتدريس بعض المواد التي كانت تلقن في مدارس أبناء الأعيان.

وأمام الإقبال المتزايد الذي شهدته هذه المدارس، فكرت سلطات الحماية في مقاومتها بكل الوسائل، حيث كانت تلتجئ تارة إلى الإغراء، وتارة أخرى إلى التهديد، إلا أن هذا الأمر لم يزد السلاويين إلا تشبثا بها، لكن الحماية تفتنت في الأخير إلى حل ناجع يضرب هذه المدارس في العمق وهو استقطاب مدرسيها، وبالفعل فقد تمكنت سنة 1927م من جلب كل من الفقيه زين العابدين بنعبود والفقيه أحمد بن عبد النبي إلى مدرسة أبناء الأعيان بسلا. وقد واجه السلاويون هذا الأمر بالاستمرار في دعم المدارس الحرة، هكذا "خصص مولاي أحمد الصابونجي - وهو من كبار أعيان المدينة - دارا حبسها على تعليم الصبية، وأرسل إليها أبناء الأربعة، وانضم الفقيه أبو بكر زنيبر إلى اللجنة المشرفة على مدرسة درب العلو كمقتصد لها"<sup>28</sup>؛ إلا أن إعادة الاستعمار هيكلية نظام التدريس بـ "مدرسة الأعيان" حيث ازداد الاهتمام باللغة العربية، وتم إدماج التربية البدنية والوقاية الصحية بها، جعل المعارضين لهذا الشكل من التعليم الذي يديره الفرنسيون يراجعون مواقفهم منها، "فقد استطاعت مدرسة أبناء الأعيان أن تجتذب إليها حتى أشد العناصر معارضة لها في بداية تكونها"<sup>29</sup>، إلا أن هذا الوضع لم يستمر طويلا، إذ سرعان ما تراجع هذا النوع من التعليم، وفقد مصداقيته خاصة مع الغيابات المتكررة للمدرسين ومع غياب النظام داخل كل فصل، ما مهد الطريق أمام طرح بديل كان هو التعليم الإسلامي الوطني خلال الثلاثينات، والذي جوبه بالمضايقة والحظر من قبل الحماية وبعض المتعاونين معها. وقد كان من بين أهداف إنشاء هذا النوع من التعليم فضلا عن الهدف التربوي، نشر الوعي الوطني بين صفوف رواده وإعدادهم للانخراط في صفوف الحركة

26 - المريني محمد بن أبي بكر بن الحاج الغالي السلوي (1903/1986م) من أسرة عريقة من مدينة سلا، تلقى تعليمه الأولي بالكتاب القرآني، وحفظ القرآن تلاوة وتجويدا على يد أشهر المقرئين بالمدينة، وأنيطت به مهام جليلة كإمام للمجسد الأعظم بسلا ومديرا للمدرسة المحمدية الحرة، انظر ترجمته في معلمة المغرب، مصدر سابق، 7100/8.

27 - المجتمع السلاوي في ظل الحماية، مرجع سابق، ص 155.

28 - المرجع نفسه، ص 156.

29 - المرجع نفسه، ص 158.

الوطنية المغربية. ومن داخل هذا المخاض الذي شهدته التعليم بسلا، تبلورت فكرة تأسيس النادي الأدبي الإسلامي سنة 1927م، كأحد المبادرات التي كان من أهدافها الزيادة في تمتين العلاقات الودية بين التلاميذ وإحياء العلوم، خاصة لغة القرآن الشريف، والحرص على تشجيع مطالعة الكتب العلمية والأدبية باللغتين العربية والفرنسية، وتخريج جيل يستطيع استيعاب اللعبة الاستعمارية وبالتالي التصدي لها بكل رزانة وحزم.

إننا بتناولنا لهذه الجوانب من حركة التعليم بسلا في عهد الحماية، نكون قد وضعنا ضوءا ولو خافتا على ذهنية الإنسان السلاوي، ومدى تشبته بالتعليم والثقافة والفكر، ما يبرر إنجاب هذه المدينة للعديد من العلماء والمثقفين، الذين تركوا بصمات واضحة في تاريخ الأدب المغربي، ومن هؤلاء العلامة أبو بكر عواد<sup>30</sup>، والفقير عبد الله القباچ<sup>31</sup>، وإبراهيم بن العربي المتوفى سنة 1926م، والعلامة أحمد الصبيحي<sup>32</sup> المتوفى سنة 1944م، والفقير الهاشمي بن خضراء المتوفى سنة 1973م، وأيضا العلامة محمد الميرني المتوفى سنة 1936م، وغيرهم كثير.

#### عود على بدء:

لقد كان المسجد حلقة الدرس الأولى التي نمت عن أصالة منقطعة النظير، كان الحلقة الأساس بين مرحلة تعليمية أولى وأخرى لاحقة، ثم كانت الزاوية امتدادا لهذا الفعل الثقافي والتعليمي الذي أرسى أسسه المسجد، كما كانت داعمة له ومساهمة في تنشيط فضاءاته الرحبة. ثم أتت الكتابات القرآنية باعتبارها البؤرة التعليمية التي تلقن المعارف الأساسية للناشئة، وتعددهم للانتقال إلى مرتبة أعلى في التعليم. وجاءت في الأخير المدارس التي عدت مجالا لتعليم جديد أملت تحولات اجتماعية وثقافية وسياسية كان أبرز ملامحها محاولة الاستعمار طمس الهوية المغربية وضربها من الداخل.

لقد عملت هذه المؤسسات التعليمية على توجيه النشء وتربيتهم التربية الصالحة، ومددهم بالعلم النافع الذي نمت ملكة الإبداع لديهم، وفتح أمامهم أبواب المعرفة على مصراعيها. وقد كان

30 - أبو بكر بن محمد عواد السلاوي (ت 1296هـ)، كان محدثا حافظا متقنا، ولي القضاء لبلده وبقي عليه إلى أن توفي، انظر ترجمته في موسوعة أعلام المغرب، مصدر سابق، 2662/7.

31 - عبد الله بن العباس القباچ (ت 1945م) ينتسب إلى عائلة فاسية، كان متمكنا من ناصية الشعر وهو في أوج شبابه، نشأ بمكة المكرمة وبها تلقى تعليمه الأولي من المعارف الدينية والأدبية على يد ثلة من العلماء والأدباء ورحل إلى المغرب سنة 1899م في العهد العزيمي، انظر ترجمته في معلمي المغرب، مصدر سابق، 6597/19.

32 - الصبيحي أحمد بن محمد السلاوي (1882م/1944) فقيه علامة نشأ بسلا وبها تعلم، حفظ القرآن وأتقن القراءات السبع، ورحل إلى فاس وأخذ عن كبار علمائها. له العديد من الكتب المطبوعة والمخطوطة، انظر ترجمته في معلمي المغرب، مصدر سابق، 5488/16.



مرام الوطنيين من تأسيسها إعداد جيل مقاوم لا يكتفي بالحفظ والاستظهار فقط، بل يتجاوز ذلك إلى اكتساب مهارات معرفية تساعده على إعمال الفكر، ومن ثم اكتساب آليات التحليل والنقد. كما كان هدفهم مكافحة الانطواء والانغلاق، والتمرد على الفكر الهدام، والتقاليد الجاهزة، وإعداد ناشئة مشبعة بثقافتها الإسلامية، ناشئة تستطيع خوض غمار الصراع الأصعب، الصراع الثقافي ضد المستعمر، وهو أعظم صراع لا مجال فيه للمساومة أو التراجع. ونشير إلى أن الاهتمام بالعلوم الشرعية، كان المؤطر العميق لكل الدروس التي كانت مؤسسات سلا (المسجد- الكتاب- الزاوية- المدارس) تكافح من أجل إيصالها إلى هذه الناشئة، ولعل الاهتمام بهذا النوع من العلوم ميسم بارز من مياسم الشخصية الثقافية المغربية، لكن هذا لا ينفي اهتمام المغاربة بالعلوم الأخرى. صحيح أن تعاطي العلوم الشرعية هو الأصل وهو الغالب، لكن حضور الإبداع الأدبي كان باديا أيضا، ويكفي هنا أن نعود إلى المنجز الأدبي المغربي للمرحلة حتى نكتشف غزارة التأليف والنظم، وقد شكل هذا المنجز صفحات مشرقة في تاريخ العطاء الثقافي المغربي.



# مفالات عامة





## إمارة المؤمنين ورعاية الوحدة الوطنية في ظل حماية الدين

د. سعاد رحائم

أستاذة التعليم العالي بكلية الآداب بالجديدة

إن المملكة المغربية تحت القيادة الرشيدة لمولانا أمير المؤمنين محمد السادس نصره الله قامت من خلال العديد من المؤسسات العلمية ببناء صرح الوعي الديني الشامل لدى المواطنين المغاربة على كافة مستوياتهم، وبتأهيل الوعي الديني ليصل إلى أعلى المقامات العلمية والروحية حتى غدت نموذجا رائعا ورائدا يحتذى به.

وتجلت الأدوار الطلائعية التي قامت بها العديد من المؤسسات المغربية في رفع مستوى وعي المواطن المغربي في مجال العبادات والمعاملات ، وأيضا إدراك الحقوق والواجبات المتبادلة بين الوطن والمواطن، حتى أضحى ذلك رافدا قويا في دعم وتثبيت الوحدة الوطنية في ظل إمارة المؤمنين .

لذلك سنخصص الحديث في هذا الموضوع عن قواعد الوحدة الوطنية من خلال دعامة إمارة المؤمنين في الإشراف الفعلي على أداء هذه المؤسسات ،من أجل إعداد مواطن واع بحقوقه وواجباته ،معتز بالانتماء إلى وطنه اعتقادا وسلوكا داخل الوطن وخارجه. وتتجلى أبعاد المواطنة الفاعلة في قول أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس حفظه : "إن المواطنة التي نريدها لا ينبغي أن تختزل في مجرد التوفر الشكلي على بطاقة تعريف أو جواز سفر ، وإنما يجب أن تجسد في الغيرة على الوطن ، والاعتزاز بالانتماء إليه ، والمشاركة الفاعلة في مختلف أورش التنمية التي نتمناها وطنية كانت أو جهوية أو محلية ، وتوسيع إشعاعه العالمي".

ولعل الاهتمام بالمؤسسات العلمية التي ترعى التاريخ الحضاري للمملكة المغربية، والتي تحفظ الهوية الدينية والوطنية للمغاربة انبعثت آفاقها وجذورها المبكرة من خلال مؤسسات راسخة القدم في العطاء والتدبير.

وسنركز الحديث في هذا الموضوع من خلال نتاج حضاري متميز لمؤسسات راسخة القدم في العطاء والتدبير، كجامعة القرويين، والأمانة العامة للمجلس العلمي الأعلى، ومعهد محمد السادس للأئمة المرشدين والمرشحات، ومؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، والدور الريادي الذي حققته هذه المؤسسات في بناء الوحدة الدينية والوحدة الوطنية.

### أولاً: جامعة القرويين بفاس:

تعتبر القرويين أول جامعة علمية عالمية حج إليها رواد المعرفة والفكر من جميع أنحاء المعمور.

فمنذ أن تأسست هذه الجامعة في العهد الإدريسي على يد "فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري"، وهي تحظى بالرعاية الكافية لتكون درعا صامدا من دروع الحصانة الفكرية والعقدية، تصارع الجهل والتأخر والجمود، حتى أصبحت ركنا مؤسساتيا من صروح التألق العلمي والحضاري، وقلعة حصينة للعلم والمعرفة. فلم يكد يمر على الفتح الإسلامي بضعة عقود، حتى تأسست جامعة القرويين في مدينة فاس (245 هـ 859م).

وقد حافظت منذ تأسيسها على الوعي الثقافي والفكري في مجال علوم الشريعة والفكر الإسلامي وكذلك علوم العربية، وسائر العلوم الإنسانية. مما عمل على إغناء الفكر الإنساني، وإثراء الحياة الثقافية لدى الناس، فكانت بذلك صرحا علميا شد الرحال إليها رجال الفكر والعلم من مختلف أقطار الدول العربية، والعالم الإسلامي، لما وجدوا في تربتها العلمية الخصبة دعامة لمواهبهم، واستفراغ الجهد في علومهم ومعارفهم، فبرزوا بشكل لافت، وبرزت معها العاصمة العلمية فاس، حتى اشتهر المغرب في مقدمة الدول الإسلامية الأصيلة التي تعزز بعقيدتها ودينها الإسلامي، ووحدتها الوطنية.

فكانت بذلك مشعلا مضيئا لرفع قواعد الحضارة العربية الإسلامية. هذه الحضارة التي فاقت غيرها من الحضارات بكثير من الخصائص والمميزات.

وجامعة القرويين تعتبر منذ الزمن البعيد منطلقا للإشعاع الفكري والعلمي، ومصدرا للانبعاث الثقافي والحضاري. بالحفاظ على اللغة العربية لغة رسمية لتدريس العلوم ونشر الثقافة الإسلامية.

فاستطاعت هذه الجامعة أن تتكيف وتتفاعل تفاعلا إيجابيا مع مختلف المؤثرات الحضارية ومستجداتها النافعة ؛ دون التخلي عن القيم الحضارية في ثوابتها الدينية والوطنية، التي بصمت



التاريخ الديني للمغاربة بالوسطية والاعتدال والتسامح، بنهج سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. مما أنتج عطاء علميا وازنا، وإشعاعا إسلاميا وثقافيا وفكريا متميزا، وتأثيرا عميقا في مختلف الأجيال.

ومن هذا المنطلق، تكون جامعة القرويين قد أدت رسالتها العلمية وقامت بدورها الرائد، وحققت الدور المنشود، فقدمت خدمات جليلة في تطوير العلوم الدينية، وتوسيع مدارك العقل والحفاظ على التراث المغربي الأصيل. كما أنتجت حركة فكرية رصينة في مجال التأليف والإنتاج العلمي، حتى أضحت مقصدا لطلبة العلم ورواد المعرفة من كل الأقطار العربية والإسلامية. كما لعبت دورا متميزا في الكفاح الوطني والذود عن حرمانه ضد الاستعمار الغاشم.

وهكذا يتجلى واضحا مدى الدور الفعال الذي تقوم به هذه المؤسسة الجامعية، تحت القيادة الرشيدة لمولانا السلطان أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، في جمع كلمة العلماء على عقيدة واحدة تحفظ الدين الإسلامي، وتدعو إلى مواجهة الأفكار المتطرفة والتيارات المعادية للإسلام. وعلى مذهب سني مالكي يقف على حصون الممانعة لأي مذهب من المذاهب المتطرفة.

وسعيا لتطوير أداء هذه المنارة العلمية الشاخنة، والعناية بالعلم والعلماء، تفضل أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس أعزه الله بإصدار ظهير شريف رقم 1.15.71 بتاريخ 7 رمضان 1436 (24 يونيو 2015) بشأن إعادة تنظيم جامعة القرويين من أجل جعلها مؤسسة علمية رائدة في مجال العلم والمعرفة، في علوم الشريعة، وفي تاريخ الفكر والحضارة الإسلامية. وبموجب الظهير الشريف المنظم لها أصبحت تضم كُلاً من مؤسسة دار الحديث الحسنية، ومعهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية، ومعهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات، والمعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب.

فمن خلال المهام المنوطة بجامعة القرويين أضحت المؤسسات التابعة لها تشكل دورا رئيسا في تخريج رواد الفكر الإصلاحي، الذي ينهل من ثوابت دينية سمحة، نبراسها الهدي النبوي الكريم في مجال حفظ الأمن الروحي للمواطنين، وبالتالي الحفاظ على كيان الوحدة الوطنية من كل غلو فكري متطرف يتغدى من مشاتل العداة لوحدتنا الوطنية.

## ثانيا : الأمانة العامة للمجلس العلمي الأعلى :

تعتبر الأمانة العامة للمجلس العلمي الأعلى المؤسسة الأولى التي ترعى الشأن الديني ببلادنا، هذه المؤسسة الشاخصة ببرامجها وأهدافها، والتي يرأسها أمير المؤمنين محمد السادس حفظه الله حامي حمى الملة والدين.

وتسعى مؤسسة المجلس العلمي الأعلى إلى ضمان الأمن الروحي للمغاربة، وحراسة الثوابت الدينية للأمة والمتمثلة في: العقيدة الأشعرية، والمذهب المالكي، والتصوف السني.. وتعمل من خلال المجالس العلمية المحلية على تنشيط الحياة الدينية للناس، وفق برامج محددة ومتكاملة، ولهذه الغاية حدد ظهير أبريل 2004 لهذه المؤسسة معالم نشاطها، منها على سبيل المثال:

- دراسة القضايا التي يعرضها عليها رئيس المجلس العلمي الأعلى، أمير المؤمنين جلالة الملك أعز الله أمره؛

- إعداد برنامج عمل سنوي يتضمن الأنشطة المقترح القيام بها من قبل المجالس العلمية المحلية؛

-الإشراف على عمل المجالس العلمية المحلية، وتنسيق أنشطتها، وإصدار التوجيهات والتوصيات الرامية إلى ترشيد سيرها وتفعيل دورها في تأطير الحياة الدينية؛

-إقامة علاقات تعاون علمي مع الهيئات والمنظمات الإسلامية ذات الاهتمام المشترك.

وإن أهم ما يميز هيكله الحقل الديني 2004م إشراك المرأة العاملة في تدبير الشأن الديني للمواطنين، ضمن أعضاء المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية المحلية. إنصافا للمرأة العاملة، واعترافا بدورها وإقرارا لمكانتها العلمية. وهي مبادرة ملكية عززت عطاء مؤسسة العلماء. حتى أضحت بمشاركة النساء العالمات تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها من خلال مجالات عمل رائدة ومثمرة.

وبموجب الظهير الشريف المنظم لعمل المجالس العلمية حددت المادة 13 منه محاور البرنامج السنوي والتي ورد فيها:

تضطلع المجالس العلمية المحلية بمهمة نشر مبادئ الدين الإسلامي الحنيف وترسيخ قيمه السامية وتعاليمه السمحة، في إطار التمسك بكتاب الله وسنة رسوله والحفاظ على ثوابت الأمة

عقيدة ومذهبا. وتعمل أيضا على صيانة مقومات الشخصية المغربية والإسهام في تحصينها والحفاظ على وحدتها الوطنية. ولهذا الغاية، تناط بالمجالس العلمية المحلية في حدود دائرة نفوذها الترابي، وفق توصيات وتوجيهات المجلس العلمي الأعلى وتحت إشرافه ومراقبته وبتنسيق مع وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أو ممثليه الجهويين، المهام التالية:

- الإشراف على كراسي الوعظ والإرشاد والثقافة الإسلامية؛
- تنظيم حلقات خاصة للتوعية والتوجيه الديني لفائدة المرأة المسلمة تؤطرها بصفة خاصة شخصيات علمية نسائية؛
- الإشراف على تهيئ مسابقات دورية لحفظ القرآن وتجويده؛
- الإسهام في تأطير حملات محو الأمية بسائر مساجد المملكة؛
- الاضطلاع بمهمة إرشاد المواطنين والمواطنات المغاربة من المسلمين في أمور دينهم، ولا سيما تسيير سبل اطلاعهم على معرفة أحكام الشرع المتعلقة بحياتهم الخاصة؛
- تنظيم ندوات علمية وموائد مستديرة لدراسة قضايا الفكر الإسلامي المعاصر والإسهام في نشر الوعي الإسلامي الصحيح؛
- الإشراف على عمليات اختيار القيمين الدينيين واختبار قدراتهم العلمية والفقهية لشغل مهام الإمامة والخطابة والوعظ والإرشاد بمختلف مساجد المملكة؛
- تنظيم دورات للتكوين الأساسي والتكوين المستمر لفائدة القيمين الدينيين بصفة منتظمة قصد تأهيلهم والرفع من مستوى أدائهم.
- ويتجلى أيضا عمل المجالس العلمية في التكوين الجيد للقيمين الدينيين في إعلان برنامج ميثاق العلماء. وإصدار دليل الواعظ والمرشد.

### 1 - برنامج ميثاق العلماء:

لقد تم الإعلان عن خطة ميثاق العلماء من لدن أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله إبان افتتاح الدورة السابعة للمجلس العلمي الأعلى في ليلة 27 رمضان 1429هـ الموافق لـ 28 شتنبر 2008م بتطوان،



ففي خطاب جلالته المعلن عن مشروع ميثاق العلماء، حدد أمير المؤمنين الملك محمد السادس ماهية ومضمون هذا الميثاق، في قيام العلماء بمهامهم باعتبارهم أئمة يهدون بأمر الله، قصد غاية تأهيل أئمة المساجد، ونشر التوعية الدينية العامة لسائر المواطنين وفق مبادئ "الإسلام الوسطي السامح" وذلك بقوله السامي "... وفي هذا الصدد قررنا تدشين مرحلة جديدة من الإصلاح الديني، بإطلاق خطة رائدة، هي ميثاق العلماء، باعتبارها برنامجاً نموذجياً للتوعية والتنوير، يقوم على حسن أدائكم لأمانة الإرشاد والتفقيه في الدين عن قرب، وهو ما يقتضي من العلماء الإنكباب على تأهيل أئمة المساجد، فضلاً عن الانتشار في البوادي والمدن لتوعية عامة الناس وتوجيههم ومحاربة وتفنيد أباطيل التطرف".

ومن ثم جاءت هذه الخطة الدينية الرائدة لتعبر عن إرادة المملكة المغربية في تجديد وظيفة العلماء، من خلال توجيه وتعبئة جهودهم الفكرية والتعليمية للإشراف على التكوين العقدي والمذهبي والسياسي للأئمة والقيمين الدينيين بالمساجد، بما ينسجم مع مبادئ الإسلام السني الوسطي. المرتكز على: العقيدة الأشعرية والفقه المالكي والتصوف وإمارة المؤمنين، ويسهم في الآن نفسه على تحصين الحقل الديني من الاختراقات الخارجية عن عقيدة أهل السنة والجماعة، والتي ظهرت في تجليات متعددة منها: الغلو في الدين، والتطرف والإرهاب والتشيع والتنصير والوهابية والإلحاد، وفرق عقدية أخرى تعادي كلمة السواء في التدين الصحيح للأئمة.

ومنذ ذلك الحين والمؤسسة العلمية تنكب على تسطير برنامج التأطير وإعداد مادته، وتوجت جهودها في هذا المجال بإصدار دليل خطة الميثاق، يكون مرجعاً مرشداً يعين المؤطرين على النهوض برسالتهم في تكوين أئمة المساجد، والارتقاء بمستواهم المعرفي والعلمي، وتعزيز توحدهم حول الثوابت الوطنية للأئمة واختياراتها عقيدة ومذهبا وسلوكا، وتمكينهم من استعادة دورهم الريادي في المسجد والمجتمع.

## 2 - دليل الإمام والخطيب والواعظ:

وفي السياق ذاته وصيانة للثوابت الدينية والوطنية، أصدرت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية "دليل الإمام والخطيب والواعظ" ليكون رهن إشارة الأئمة والخطباء والواعظ مرجعاً فيما هو مطلوب منهم في مهمتهم، من قبيل التذكير وتوحيد الرؤية وبيان التأصيل.

فمهمة القيميين الدينيين، الأئمة والوعاظ والخطباء، هي حماية الوحدة العقيدية والمذهبية للمملكة. حيث جاء هذا الدليل قصد التذكير بالثوابت الملتمزم بها، مع ما يقتضيه الأمر من تطوير وظيفة القيم الديني وتشجيعه على تعميق معارفه وإتقان أدائه، انطلاقاً من اعتبار وظيفته التي هي من وظائف الأمة الممثلة في الإمامة العظمى إماراة المؤمنين.

فالهدف من هذه الأداة التربوية هو تعميق شعور القيم الديني بمسؤوليته، وإعانتة على تطبيق منهجية موحدة في منطلقاتها وأهدافها في محله وبيئته ومحيطه.

ولهذه الغاية جاء الدليل متضمناً لخلاصات في موضوع العقيدة والمذهب والتصوف، كما جاء متضمناً لأحكام أساسية في مجال فقه العبادات، مما جرى به العمل في المغرب.

وقد ورد في مقدمة هذا الدليل كلمة جامعة مانعة توجيهية في أداء مهمة المؤطر الديني للسيد معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد التوفيق نجتزئ منها ما يلي:

"وضع علماء المسلمين تأليف في أدب العلماء، وأدب أئمة المساجد وخطبائها، وأدب المفتين والمستفتين، وأدب القضاة والحكام وأهل الحسبة؛ تأليف ترشد وتبين أول تلك التوجيهات في الوحي وفي الهدى النبوي، وحكمة الحكماء، تأليف تنبه إلى خطورة هذه الوظائف، وعظمة النفع المرجو منها إذا أداها القيمون حق أدائها. ففي ثنايا مواد هذا الدليل عناصر من ذلك الأدب، فيما يتعلق بالإمام والخطيب والواعظ بمساجد المملكة المغربية، عناصر تذكير بما هو مؤصل في الدين وما جرى عليه عمل أسلاف المغاربة الذين وفوا لهذا الدين وخبروا جوانب مقاصده ومصالحه في بيئة بلد أسهم في التاريخ الغني للأمة الإسلامية.. وقد دعت الضرورة في هذا العصر إلى الانتقال بهذه الأخلاق الموروثة من صيغة الاقتراح الإرشادي إلى صيغة التقنين التعاقدية، عمل تحيين يقوي الأئمة والخطباء والوعاظ، ويحمي المساجد من التشويش الذي ينافي الطمأنينة التي تتطلبها عامة الناس.

فالأئمة والخطباء والوعاظ أهل وفاء وصفاء في هذه الأمة المغربية، والشكر لله على ذلك، وهم أهل التربية العظمى، التربية على الوحدة والنضج الفكري والأخوة الإيمانية والحس السياسي المنطلق من الأخلاق والثوابت في الدين.

فعسى أن يعم النفع بهذا الدليل وتقوى بتذكيراته وإشاراته همّة الأئمة والخطباء والوعاظ، وهم يجتهدون في مهمتهم النبيلة".

### ثالثا : معهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات :

ووعيا من أمير المؤمنين محمد السادس حفظه الله بنبل وشرف المهام الدينية ومقاصدها الشرعية في حفظ الأمن الروحي للمواطنين، والحفاظ على الهوية الوطنية والدينية للمملكة، وترسيخ قيم الإسلام السمحة الداعية إلى الوسطية والاعتدال، وأثرها في بناء في المجتمع. وإدراكا من جلالته بالدور الذي يقوم به الأئمة والمرشدون والمرشدات في التوعية الدينية للناس، والحاجة إلى تطوير أدائهم. وسعيا إلى فسح المجال للدول الصديقة والشقيقة للاستفادة من التجربة المغربية، في مجال تأهيل وتكوين واستكمال التكوين للقيمين الدينيين، أصدر أمير المؤمنين أعزه الله الظهير الشريف رقم 1-14-103 بتاريخ 20 من رجب 1435هـ/ماي 2014م في شأن إحداث معهد محمد السادس لتكوين الأئمة والمرشدين والمرشدات (الجريدة الرسمية: عدد 6286 بتاريخ 26 يونيو 2014م).

ويعهد إلى المعهد تكوين الأئمة والمرشدين والمرشدات تكوينا يؤهلهم للقيام بمهمة التبليغ لأحكام الشريعة الإسلامية، وبيان مقاصدها وإبراز سماتها، ووسطيتها واعتدالها، والمساهمة في الحفاظ على الوحدة الدينية للمجتمع وتماسكه ضمن ثوابت الأمة، والمشاركة في الأنشطة الدينية والتربوية والثقافية.

والتجربة المغربية في هذا المجال تعد رائدة في مبادراتها حيث استطاعت أن تلفت إليها أنظار العديد من الدول الإسلامية، في إفريقيا تحديدا، من أجل الاستفادة منها وتأهيل أئمة يتبنون قيم الوسطية والاعتدال، ويشيعونها بين الناس في وقت تعرف فيه المنطقة تنامي التطرف والتشدد والغلو في الدين، وما لذلك من آثار سلبية على الأمن والاستقرار. وتعتبر مالي من أولى الدول التي استفادت من التجربة المغربية في هذا المجال، ثم تلتها العديد من الدول الإفريقية الصديقة.

ويرتكز تأهيل المغرب للأئمة والمرشدين الدينيين، على الرؤية الرشيدة لأمر المؤمنين الملك محمد السادس أعز الله أمره، "بتوفير تكوين علمي وديني متنور، متشبع بقيم الوسطية والاعتدال، وبالتلازم بين الحفاظ على الثوابت الإسلامية، ونهج الاجتهاد والانفتاح، بما يجعل قيم ديننا الحنيف، في انسجام مع اختياراتنا الوطنية، ومع توجهات العصر. وهو ما جعل النموذج المغربي في تدبير الشأن الديني يحظى بالتقدير والاهتمام، على المستوى القاري والدولي".

وكذلك اقتسام المغرب تجربته مع البلدان الراغبة في الاستفادة منها، كما جاء به التأكيد في الخطاب الملكي السامي بالمناسبة: "إننا حريصون على وضع التجربة المغربية رهن إشارة الدول



الشقيقة التي تتقاسم مع المغرب التشبث بنفس المبادئ والقيم الروحية، والتي عبرت عن رغبتها في الاستفادة من النموذج المغربي، كما هو الشأن بالنسبة للتعاون في مجال تكوين الأئمة".

رابعا: مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة:

لقد أصدر مولانا السلطان أعزه الله ظهيرا شريفا رقم 1.15.75 صادر في 7 رمضان 1436هـ/24 يونيو 2015م يتعلق بإحداث مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة.

وقد اشتمل هذا الظهير الشريف على ستة أبواب وثلاثة وثلاثين مادة تنظيمية: تناول الباب الأول منها أحكاماً عامة، ومن أبرزها تحديد مقر المؤسسة بمدينة فاس. الباب الثاني يشمل أهداف المؤسسة. الباب الثالث يتحدث عن العضوية في المؤسسة. الباب الرابع يتحدث عن أجهزة المؤسسة و عن مهام المجلس الأعلى للمؤسسة، وبرنامج عمله السنوي. الباب الخامس يوضح التنظيم المالي للمؤسسة. الباب السادس والأخير يتضمن أحكام عامة.

وهذا ذكر لأهداف مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة:

- ويشملها الباب الثاني من الظهير الشريف المنظم لعمل المؤسسة وتتمثل في الأهداف الآتية:
- توحيد وتنسيق جهود العلماء المسلمين، بكل من المغرب وباقي الدول الإفريقية، للتعريف بقيم الاسلام السمحة ونشرها وترسيخها.
- القيام بمبادرات في إطار كل ما من شأنه تفعيل قيم الدين السمحة في كل إصلاح تتوقف عليه عملية التنمية في إفريقيا سواء على مستوى القارة أو على صعيد كل بلد،
- تنشيط الحركة الفكرية والعلمية والثقافية في المجال الإسلامي،
- توطيد العلاقات التاريخية التي تجمع المغرب وباقي دول أفريقيا والعمل على تطويرها.
- التشجيع على إقامة المراكز والمؤسسات الدينية والعلمية والثقافية،
- إحياء التراث الثقافي الإفريقي الإسلامي المشترك من خلال التعريف به ونشره والعمل على حفظه وصيانته،

- ربط الصلات وإقامة علاقات التعاون مع الجمعيات والهيئات ذات الاهتمام المشترك. وتعد مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة صرحا جديدا في رفع القواعد الأساسية للأمة

الإسلامية في العديد من البلدان الإفريقية، وقد جاءت هذه المبادرة الملكية لتعزيز مبادرات سابقة والتي باشرها أمير المؤمنين محمد السادس نصره خلال العقود الأخيرة، والتي تؤكد على العزم الصادق والالتزام الموصول لأمير المؤمنين من أجل النهوض بقيم الإسلام السمحة، ويتجلى ذلك على الخصوص في بناء العديد من المساجد بعدد من الدول الإفريقية، والحضور المنتظم للعلماء الأفارقة في الدروس الحسنية الرمضانية، وإحداث رابطة علماء المغرب والسنغال، وإحداث معهد الدراسات الإفريقية، وتنظيم ندوات حول الطرق الصوفية، ومنح عدد من الدول الإفريقية نسخاً من المصحف المحمدي الشريف. هذا بالإضافة إلى العديد من المبادرات الإنسانية القوية التي تؤكد مدى قيمة الروابط التاريخية والروحية التي تجمع المملكة المغربية بباقي الدول الإفريقية.

#### خامساً: تجليات دور المؤسسات المغربية في دعم وتثبيت سيادة الوحدة الدينية والوطنية

إن العلاقة الوثيدة بين الأمن الروحي وبين سيادة الوحدة الوطنية للمملكة المغربية، هي علاقة وثيقة ومتلازمة. فإذا كان المقصود بالأمن الروحي هو الحفاظ على الثوابت الدينية، مما قد يعترضها من أخطار تأتي من الداخل أو من الخارج، وصون الهوية الدينية من الآفات والمنزلقات والتحريفات، فإن سيادة الوحدة الوطنية هي حماية الاختيارات الديموقراطية، من التشويش على تماسك نسيج المجتمع المغربي والحفاظ على مكتسباته التاريخية والمشروعة بما يكفله دستور المملكة المغربية في ظل رعاية إمارة المؤمنين. وبما ورد أيضاً في ديباجة الدستور: بأن الدين الرسمي للدولة هو الدين الإسلامي. والذي يشكل مصدراً للوقاية ضد الأخطار التي تهدد الوحدة الوطنية، والمناعة ضد كل ما من شأنه أن يضعف كيان الدولة، ويمزق النسيج الوطني، ويتسبب في فتنة الناس في دينهم، ويؤدي إلى الفوضى العارمة التي تفضي إلى الفساد في الاعتقاد، والفساد في الفهم، والفساد في السلوك، والفساد في الأرض بوجه عام.

وتقوم السيادة المذهبية على قاعدة الأمن الروحي، بل هي تجسيدٌ للأمن الروحي نفسه. ولذلك فإن حماية السيادة المذهبية هي عين الحفاظ على السيادة الوطنية وجوهرها. ومن أجل ذلك فإن أمير المؤمنين محمد السادس حفظه الله سلك طريقاً قوياً في تعزيز الحفاظ على الأمن الروحي للمواطنين بإنشاء المؤسسات العلمية والدينية رعاية للوحدة الوطنية عن طريق رعاية الوحدة الفكرية والمذهبية للمغاربة.

فكان من ضرورات صيانة الوحدة الوطنية صيانة الأمن الروحي في مجال التصدي لكل الانحرافات الضالة والمعتقدات الفاسدة والتأويلات المغرضة والتفسيرات الخاطئة التي تثير الفتنة الدينية، والتي تؤدي إلى تمزق النسيج الروحي والفكري ومنه إلى النسيج الوطني، بشتى الأساليب وكافة المناهج المغرضة، مما يقتضي مواجهة الفكر المنحرف والضال داخل الوطن وخارجه بنشر الأفكار السوية، والتصدي للتطرف والغلو والتشدد بالاعتدال والوسطية.

لذلك ومنذ اعتلاء أمير المؤمنين الملك محمد السادس العرش في 30 يوليوز 1999م وهو يولي عنايته الفائقة ورعايته الكبيرة لمشروع تأهيل الحقل الديني بالمغرب.

وكما سلف بيانه فقد أعيدت هيكلة هذه المؤسسات جميعها مركزيا وجهويا وإقليميا، وتمت تقويتها بشريا وماديا لمواكبة كل التغيرات والتطورات، وذلك بما يضمن صحة التدين في العبادات والمعاملات، وكذلك صون حرمة بيوت الله من كل زيغ في الدين من لدن شرذمة المتطرفين والغلاة ودعاة الفتنة، وبالتالي صون حرمة الوطن والمواطنين.

ففي ظل تنامي ظاهرة التطرف الديني، وكثرة فصائل السلفية الوهابية أو الجهادية، والانتشار الخطير لمنابر الفتاوى الشاذة...تنوعت مجالات تأهيل الحقل الديني بالمملكة من لدن جلالته من أجل تنزيل الرؤية الملكية للحقل الديني بالمغرب.

فشكلت بذلك المؤسسات الدينية وخاصة المجالس العلمية المكلفة بضبط الخطاب الديني وتوحيده وفق الثوابت الدينية للمملكة عقيدة وفقها وسلوكا حصونا منيعة للتأطير الديني للمواطنين. وكذا الرابطة المحمدية للعلماء ومؤسسة دارالحديث الحسنية ومعهد محمد السادس لتكوين الأئمة والمرشدين والمرشدات، بالإضافة إلى مؤسسة محمد السادس لطبع المصحف الشريف ومؤسسة محمد السادس للنهوض بالإعمال الاجتماعية للقيمين الدينيين، ناهيك عن مديرية التعليم العتيق ومديرية المساجد ودورهما الكبير في إشعاع ثقافة التسامح والحوار الحضاري.

ويعتبر الإعلام الديني في المغرب إحدى الروافد الكبرى للتواصل مع الناس في قضايا دينهم ومعارفهم العلمية والروحية. ويتجلى ذلك خاصة في إذاعة محمد السادس للقرآن الكريم، هذه الإذاعة التي حازت الرقم الأول لدى المستمع المغربي. وأيضا قناة محمد السادس للقرآن الكريم والدور الكبير الذي تقوم في التعريف بالإسلام الوسطي، وكذلك تعريف الناس بعقيدتهم، وتكوينهم في التفقه في الدين في مجال العبادات والمعاملات. وأيضا توعية الناس بالمرتكزات البانية



للوحد الوطنية. ويعد هذا الإعلام أيضا سبيلا لنشر ثقافة السلم والتعايش بين الثقافات والحضارات والأديان داخل المملكة.

كما لايفوتني التذكير بالاهتمام الكبير الذي أولاه أمير المؤمنين نصره الله لمادة التربية الدينية للمدرسة المغربية في التعليم العمومي و التعليم الخاص والتعليم العتيق، في اتخاذ العديد من التدابير المستعجلة والمهيكلية، تتوخى ضمان جودة التعليم الديني، ومراجعة مقررات تدريس مادة التربية الدينية في مجال إنجاز مقررات تروم التربية على القيم السمحة وفي صلبها المذهب المالكي السني الداعي الى الوسطية والاعتدال، وإلى التسامح والتعايش مع مختلف الثقافات والحضارات الإنسانية. وأن تركز هذه المقررات على القيم الأصيلة للشعب المغربي، وعلى عاداته وتقاليد العريقة القائمة على التشبث بمقومات الهوية الوطنية الموحدة، الغنية بتعدد مكوناتها، وعلى التفاعل الإيجابي والانفتاح على مجتمع المعرفة وعلى مستجدات العصر.

#### وفي الختام :

فإن آليات الحفاظ على الوحدة الوطنية متعددة و متنوعة وهي رهينة على الخصوص برعاية الشأن الديني للمواطنين، والسبيل الأمثل لتحصين العقول والأفئدة من كل الشوائب المضلة للعقل البشري. سيرا على النهج النبوي الكبير الذي شيد صرح الدولة الإسلامية في البناء الروحي للأمة ومنه البناء الأخوي للوحدة الوطنية، واتضحت معالم ذلك بعد الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية، ومنطلق الأخوة في الدين بين مكونات المجتمع الإسلامي مهاجريه وأنصاره امثالاً لقوله تعالى : "إنما المومنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون"<sup>1</sup>.

ولعل العمل في مجال الاشتغال بأمور الدين يعد من روائع السياسة المغربية في توحيد جهود العلماء في العطاء والتدبير، وفي مجال التأطير والتكوين لمجتمع سليم الفكر، مشبع بالغيرة على وحدته الوطنية من كل سالب لكرامتها أو كينونتها. كما يعتبر العمل ضمن المؤسسات الراعية لشؤون المواطنين في أمور الدين سدا منيعا أمام تشويش الغالين وانتحال المبطلين.

وهاهو المغرب يواصل اقتسام رصيده الثقافي والروحي من خلال مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة مع العديد من الدول الإفريقية الشقيقة من خلال الدورات المنعقدة في مجال

1 - سورة الحجرات : الآية : 58.

التواصل الأخوي والروحي خاصة في التعريف بالإسلام الأشعري عقيدة والمالكي مذهباً والسني سلوكاً. بالإضافة إلى الارتباط الوثيق بعقد البيعة الشرعية بين المؤمنين في هذه الدول وإمارة المؤمنين بالمغرب، تحقيقاً لأمر الله عز وجل الذي أمر بالاعتصام بحبل الله من خلال البيعة الشرعية، ومن هنا يتضح جلياً أن إمارة المؤمنين تعد رافداً قوياً في نشر كلمة السواء والسهر على حماية الشأن الديني من كل كيان هادم ومغرض. وهو الدرع الحصين الذي به تصان الوحدة الوطنية للمملكة المغربية الشريفة داخل الوطن وخارجه.





## قراءة في كتاب "نداء القاهرة"<sup>1</sup> لمؤلفه علال الفاسي

د. أحمد الأزمي

باحث في التاريخ الحديث والمعاصر.

نشر هذا الكتاب بالرباط سنة 1959م، أي ست سنوات بعد نداء القاهرة الذي بثه المؤلف عبر إذاعة "صوت العرب"، نصف ساعة بعد إبعاد جلالة الملك محمد الخامس يوم 20 غشت 1953م. ويحتوي مضمونه على مجموعة الأحاديث التي ألقاها علال الفاسي في إذاعة "صوت العرب" بالقاهرة، منذ النداء الأول إلى أن عاد الملك ومعه استقلال البلاد، علاوة على التقرير الذي أضافه المؤلف لهذه المجموعة، وهو تقرير، كما يقول، كتبه للجامعة العربية في أول سنة 1953م، وكذا فقرات من رسائل تبودلت بينه وبين اللجنة التنفيذية المؤقتة للحزب، من جهة، وبين مكاتب الحزب في مختلف النواحي من جهة أخرى.

فصول هذا الكتاب الكبرى ثلاثة، أولها تحت عنوان: في صميم المعركة، وثانيها يهتم مقاومة الاستعمار، أما الثالث فيحمل عنوان: بين الماضي والحاضر.

مباحث الفصل الأول، بعنوان: في صميم المعركة، متعددة، نذكر منها:

- نداء يوم 20 غشت 1953م (ص 3).
- توضيح محمد الخامس (ص 13).
- وسيلتنا في الكفاح (ص 190).
- موقف البربر في مراكش<sup>2</sup> (ص 23).
- وثيقة الاستقلال (ص 33).
- لا مفاوضة قبل عودة الملك وإعلان الاستقلال (ص 67).

1 - علال الفاسي، نداء القاهرة، المطبعة الاقتصادية، شارع علال بن عبد الله، الرباط، الطبعة الأولى سنة 1959م.

2 - تجدر الإشارة هنا إلى أن المؤلف يستعمل كلمة "مراكش" في كتابه هذا قاصداً بذلك "المغرب".

- موقف أمريكا من قضية مراكش (ص 71).
- ذكرى إعلان وثيقة الاستقلال (ص 79).
- مجلس الوصاية (ص 95).
- بيان بمناسبة عودة جلالة الملك إلى فرنسا (ص 99).
- مقاومة الاستعمار، هو عنوان الفصل الثاني، وانضوت تحته عدة عناوين، من بينها:
  - الاستعمار الاجتماعي (ص 111).
  - الاستعمار الثقافي (ص 115).
  - التعمير والاستعمار (ص 119).
  - المستعمرون يوطدون دعائم التعاون بينهم (ص 123).
  - اختلاف العرب بقوى الاستعمار (ص 141).
  - الجلاء عن مصر (ص 149).
  - الشمال الإفريقي والمؤتمر الإفريقي الآسيوي.
- الفصل الثالث الذي خصصه المؤلف لموضوع: بين الماضي والحاضر، يشتمل على عدة عناوين، وهذه بعض منها:
  - الإسلام يأمر بالقوة (ص 159).
  - الدين تحرير للإنسانية (ص 163).
  - عزة الإسلام (ص 167).
  - الهجرة (ص 189).
  - وحدة القيادة (ص 197).
  - وحدة الصف (ص 201).
  - العزم (ص 209).
  - الفرقة المخيفة (ص 217).

كانت هذه باختصار شديد خطة الكتاب، كما أرادها المؤلف لكتابه، غير أننا بعد قراءته والتمعن في مضامينه وقضاياها، ارتأيت الحديث عن مضامين الكتاب المذكور من خلال المحاور الآتية:

المحور الأول: فضح السياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب.

المحور الثاني: توظيف القيم النبيلة في التوعية وإنهاض الهمم لتحرير البلاد من قبضة المستعمر.

المحور الثالث: محمد الخامس الفاتح لما أغلق.

قبل تفصيل القول في هذه المحاور، أذكر بشكل سريع بأن الأستاذ محمد علال الفاسي من مواليد عام 1910م بمدينة فاس<sup>3</sup>، وكانت وفاته سنة 1974م بمدينة بوخارست عاصمة رومانيا إثر نوبة قلبية، ونقل جثمانه إلى أرض الوطن، فدفن بمقبرة الشهداء بحي العلو في مدينة الرباط. وهو من أسرة عربية اشتهرت بآل الفاسي الفهري، نزحت من الأندلس فرارا بدينها وعقيدتها واستوطنت مدينة القصر الكبير ثم انتقلت إلى مدينة فاس. في سنة 1920م التحق بجامع القرويين لاستكمال تعليمه، حيث درس العلوم الشرعية والآداب وعلوم اللغة، وحصل على الإجازة في مجموعة كبيرة من المتون الشرعية، وكتب الفقه والحديث والتفسير واللغة والأدب، ونال شهادة العالمية سنة 1932م بتفوق.

لقد كان علال الفاسي محبا للقراءة والاطلاع على مختلف المعارف والعلوم الشرعية والتاريخ والأدب، لما وجدته في مكتبة والده من كتب متنوعة ساعدته على الاطلاع والمعرفة<sup>4</sup>. كما كانت هذه المرحلة فرصة مهمة له لكي يتمرس بالخطابة ويبرهن عن فصاحته في الحديث إلى الناس. وهكذا وجد هذا الشاب نفسه متمكنا من كثير من العلوم الشرعية والأدبية واللغوية، وقادرا على التواصل مع الناس والتأثير في مشاعرهم بلغة عربية رصينة، ومعلومات دينية وتاريخية غزيرة<sup>5</sup>. فهو بالفعل شخصية مركبة وغنية بتعدد اهتماماتها في الكثير من المجالات الفكرية<sup>6</sup>.

3 - سعيد بحير، الزعيم السياسي والتطور الديمقراطي في المغرب الحديث: دراسة نفسية سياسية للزعيمين السياسيين محمد علال الفاسي ومحمد حسن الوزاني، مطبعة طوب بريس، الرباط 2014م، ص. 16.

4 - محمد الفاطمي السلمي، من أعلام المغرب الأقصى، الرباط 1992م، ص. 472.

5 - سعيد بحير، مصدر سابق، ص. 19.

6 - نفسه.



وقد كان لهذه العوامل أثرها في ظهوره وسط جماعة من الشباب المتحمس لمقاومة الاستعمار، التي كانت النواة الأولى للحركة الوطنية. وأغلب العناصر في هذه المجموعة الشابة ينتسبون للطبقة البورجوازية أو من أبناء الأعيان، شيئا فشيئا أصبح نجم علال الفاسي يسطع في سماء السياسة منذ الثلث الأول من القرن العشرين، خلال الحماية الفرنسية، حيث كان يعمل بتعاون مع رفاقه في الحركة الوطنية، على مقاومة الاستعمار الفرنسي بمختلف الوسائل، وانخرط في صفوف حركة كتلة العمل الوطني التي كان من بين مؤسسيها البارزين<sup>7</sup>.

في بداية عمله السياسي، شرع علال الفاسي في إلقاء الخطب والدروس لتوعية الناس بحقيقة السياسة الاستعمارية، وليشجذ همهم، ويحثهم على الاحتجاج ضد صدور الظهير البربري، وقد جذبت هذه الدروس اهتمام الناس فأقبلوا عليها بكثافة، فحاولت الإدارة الفرنسية منع هذه الدروس والمحاضرات، لأنها كانت تشكل خطرا على سياستها الاستعمارية، ولما فشلت في ذلك عملت على نفي علال الفاسي في شهر نونبر 1937م إلى الغابون، وظل في منفاه تسع سنوات، ليعود سنة 1946م بعد إطلاق سراحه إلى المغرب ويستأنف نضاله ضد الاستعمار الفرنسي<sup>8</sup>. وبعد فترة قصيرة، سافر إلى فرنسا وكتب في الصحافة للتعريف بالقضية المغربية، ثم زار عددا من البلدان العربية واستقر في القاهرة<sup>9</sup>، حيث قام بعدة اتصالات مع رجال الفكر والسياسة بمعية جماعة من الشباب الوطني، من أجل الهدف نفسه.

في هذه الفترة من وجوده بمصر، قدم علال الفاسي نداء القاهرة، بعد نفي ملك البلاد محمد الخامس تغمده الله برحمته، من قبل سلطات الحماية الفرنسية. وفي هذا الخطاب دعا علال الفاسي المغاربة إلى الثورة وحمل السلاح من أجل عودة الملك محمد الخامس الذي يعتبر الملك الشرعي للشعب المغربي<sup>10</sup>. وقد كان هذا النداء شديد اللهجة لوصفه أعمال الحماية الفرنسية بأقبح الصفات، مع ملاحظة أن هذا النداء هو عنصر فقط من عناصر الكتاب، الذي يعتبر بحق وثيقة إدانة قوية للدولة المستعمرة ولغطرستها وتماديها في إهانة المغرب شعبا وملكاً، كما سننسط ذلك من خلال المحاور الآتية:

7 - محمد الفاطمي السلمي، م. س، ص. 472 - 475.

8 - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، الرباط 1976م، ج. 1، ص. 304.

9 - نفسه.

10 - علال الفاسي، نداء القاهرة، م. س، ص. 26.

## I - فضح السياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب:

من بين المفاهيم التي ناقشها المؤلف تحت هذا العنوان، مفهومي التعمير والاستعمار، ثم الاستعمار الاجتماعي والاستعمار الثقافي، وتوطيد دعائم المستعمرين، فيما بينهم، خدمة للحركة الاستعمارية.

## 1. التعمير والاستعمار:

يحاول المؤلف من خلال الحديث عن هذين المفهومين، التمييز بين التعمير الناشئ عن الفتح الإسلامي، وبين الاستعمار المرتبط بالغزو الأوربي، مبرزاً في الوقت نفسه العوامل التي أفضت إلى الأمرين وتحكمت في سلوك القائمين بهما ووجهت تصرفاتهم فيهما.

فالفتح الإسلامي هو نتيجة قبل كل شيء، لنشر دعوة الإسلام التي جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة لا يقصد منها غير هداية الأمم وإرشاد الشعوب وتحريرها من الاستعباد القائم فيها والمتغلغل في أعماقها. وقد بدأت هذه الدعوة ثورة جامحة على المجتمع العربي المشرك وما يشتمل عليه من عادات وتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان، فحررته من الوثنية ورجاها وعلمته أن لا وصاية بينه وبين الله، غير عمله الصالح ودعائه المخلص، ورفعة أفراده إلى رتبة الأحرار المفكرين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، والمهتمين بهدي النبوة في أقوالهم وأعمالهم، يرحمون ضعيفهم ويحدون من شوكة قويهم، يوقرون كبيرهم ويرحمون صغيرهم، العدل سبيلهم والحق سلطانهم والإخاء رابطتهم، وحماية الحرية الاعتقادية جهادهم<sup>11</sup>.

لقد كانت الإنسانية كلها في تلك المرحلة من تاريخها، يضيف علال الفاسي، تجتاز فترة من تاريخ الانحطاط، نشأت عن سيطرة طغيان الحاكم واضطهاده لكل ذي عقل، وعن تحكم الرهبان والدهاقنة وتعذيب كل رافض ومقاوم لمن ينصب من القياصرة والأكاسرة الذين يعتبرون أنفسهم آلهة الأرض وفراعنة الإنسانية، فأصبحت الجاهلية العربية على جاهليتها أحسن بقاع الأرض، يلتجئ إليها المضطهدون ويفزع إليها الخائفون. فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم وهدى قومه الأقربين، أصبح كل واحد منهم إماماً في الحق ودليلاً في الخلق، فتألب المشركون والضالون على هؤلاء المؤمنين يريدون أن يفسدوا عليهم دينهم ويفرضوا جاهليتهم، حينئذ أذن الله للذين يقاتلون بأنهم ظلموا فاستبسلوا حتى أقرروا المبدأ الأساسي للجهاد الإسلامي، وهو حماية الدعوة أو حرية

11 - علال الفاسي، نداء القاهرة، ص. 119.

الوجدان<sup>12</sup> ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالْمَلَأُغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ، فَقَدْ أَسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>13</sup>.

ثم صار المسلمون، طبقاً لنفس المصدر، إلى من حولهم من الأمم، يدعونهم إلى هذه الديانة التي لا تعرف فوارق الأجناس ولا نظام الطبقات، ولا تمييز بين عربي وعجمي، ولا بين أبيض وأسود إلا بالتقوى، كما ورد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>14</sup>. إنها دعوة للتخلي بالأخلاق القرآنية التي تهذب الطبع وتعلي النفس وتربي الضمير وتقوي الشخصية وتعلم الطاعة وتبعث على الشعور بالواجب، والتشبث بقيم العدل الإسلامي الذي يجعل الناس سواسية كأسنان المشط، الضعيف فيه قوي حتى ينال حقه والقوي ضعيف حتى يقتصر منه، ويجعل الثروة لله، خلقها للناس جميعاً<sup>15</sup>.

ومن أبرز مظاهر دعوة الإسلام وقيمه النبيلة، جعله الناس سواسية في الأخوة الإنسانية، بغض النظر عن الكافر والمسلم منهم، لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). وقد أجمع الشارحون، يقول المؤلف، على أن الأخوة المقصودة هنا هي الأخوة الإنسانية. لذلك كان الفتح الإسلامي رحمة للأمم وهداية للخلق ونصراً للحق، وإخاء بين الناس، وتعميقاً للخلق الطيب، وتحقيقاً للعدل الاجتماعي، فتكونت المدينة الإسلامية الفاضلة، ممتدة من أقصى المغرب لأقصى المشرق، تتآخى فيها الأجناس، ويتوَاد المسلمون فيها مع مواطنيهم من أهل الكتاب ومن غيرهم، ومع الأجانب عنهم، لا يطلبون منهم إلا أن يحفظوا العهد كما نحفظه، ويرعوا الذمة كما نرعاهما، وأن يكونوا معنا ضداً على كل من تعرض لنظامنا أو حاول أن يغتصب حريتنا أو يخرجنا من ديارنا<sup>16</sup>، كما هو مبين في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسَلُوا إِلَيْهِمْ. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَلِينَ، إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَلِهَاجَرُوا عَلَىٰ إخراجكم أَنْ تُولُوهُمْ. وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>17</sup>.

12- علال الفاسي، نداء القاهرة، م، ص. 120.

13- سورة البقرة، الآية 255.

14- سورة الحجرات، الآية 13.

15- علال الفاسي، نداء القاهرة، م، س، ص. 120-121.

16- نفسه، ص. 121.

17- سورة الممتحنة، الآيتان 8-9.



إذا كان هذا هو معنى التعمير، كما هو متعارف عليه في الحضارة الإسلامية، فما هو الاستعمار في رأي علال الفاسي؟

يربط المؤلف مفهوم الاستعمار بالغزو الاستعماري، ويرى أن الباعث على هذا الأخير، تكتل رؤوس الأموال وتضخم الثروات وازدهار الآلات، والحاجة إلى المواد الأولية وإلى السوق التجارية واليد العاملة، لذلك كان أول مظهر من مظاهر الاستعمار الاستعباد الجسمي والمادي الذي بعث الدول على المنافسة في غزو الشعوب الضعيفة واكتساح أراضيها وإبادة شعوبها، فانقرض الجنس الأحمر من أستراليا والأمريكيتين، وأخرجت شعوب السود من إفريقيا على بواخر النحاسين لتحل محل العامل الحر في مصانع الرجل الأبيض في أمريكا. وتوقف ذلك كله على نظريات تحل محل العقائد، فجند الاقتصاديون والسياسيون أنفسهم لخلقها والدعوة إليها، وأصبحت القوة التي تستعبد الضعفاء خلقا قوميا ومجدا شعبيا، عبقرية في تكوين المجال الحضري، كما صار الضغط على الحريات حماية للشعوب من نفسها، وإدماجها في الأمم الفاتحة رفعا لمستواها<sup>18</sup>.

ومن أراد أن يشاهد هذه الصفات، مجلوة واضحة، طبقا للمصدر نفسه، فما عليه إلا أن يلتقي نظرة على الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ليرى كيف انقض الغزو الاستعماري على هذه الشعوب يكتسح ويُفني، مستعملا كل آلاته الجهنمية، فتمكن من طرد الفلاحين من أراضيهم، وأحل مكانهم من يسميهم بالمستعمرين، مع ما رافق ذلك من سيطرة اقتصادية على كل موارد الثروة، فلا إيراد ولا تصدير بدون فرنسا، ومن فتح المجال للرأسمالية الكبرى تتحكم في اليد العاملة والمواد الأولية كيف تشاء. وحتى تضمن السيطرة الكاملة على مقاليد الأمور، في أفق تحقيق أهدافها، لجأت السلطات الاستعمارية إلى فرض السيطرة السياسية عن طريق الهيئة الإدارية التي لا تعطي المواطنين حقا في غير أن يكونوا جنود الاحتلال وأعوان الاستغلال، والهيمنة الثقافية بنذ اللغة القومية ومحو الدين والتاريخ والجغرافيا القومية من كل برامج التعليم، والسيطرة العددية بفتح باب الهجرة للأجانب وترك الأهالي عرضة للآفات والمحن.

وبما أن المغرب واحد من بلدان المغرب العربي التي تحتلها فرنسا، ونظرا لكون آثار الفتح الإسلامي، لم تمح من النفوس، فإن قيم الإيمان بالعدل والمساواة والحرية وعدم الخضوع لغير الله، الراسخة في قلوب المغاربة، تحرك فيهم بواعث الاستبسال والتضحية لمقاومة الطغيان وكسر الأغلال

18 - علال الفاسي، نداء القاهرة، م. س، ص. 121.



تطلعا إلى الحرية والانعقاد ولو كره المستعمرون. فالفرق إذن، بين التعمير الإسلامي والاستعمار الغربي، في رأي أستاذنا، هو أن الأول إحياء للموات وتوزيع للخيرات وتنوير للعقول وتربية للوجدان وتحرير للإنسان، والثاني استعباد للأرض وامتهان للسكان وإفساد للأخلاق، وإزهاق للأرواح وتكديس للثروة في يد الأفراد، لذلك فإن الكفاح القائم اليوم في الشمال الإفريقي لينبعث من الأثر الذي أحدثه كل منهما في نفوس أصحابه، ولا شك أن النصر سيكون في النهاية للتعيمير على الاستعمار، لأن ذلك ما تقضي به الفطرة الإنسانية وما يريده الله<sup>19</sup>.

## 2. توطيد دعائم المستعمرين فيما بينهم خدمة للحركة الاستعمارية:

يفيد المؤلف أنه في 8 أبريل 1904م تم الاتفاق الودي بين فرنسا وبريطانيا، مؤشرا على بداية عهد من التعاون الاستعماري بين الدولتين<sup>20</sup>. وبموجب هذا الاتفاق، أعلنت فرنسا تنازلها عن حقوقها القديمة ونفوذها التقليدي في الأرض الجديدة وفي مصر، مقابل التزام بريطانيا علنا بأنها لا تعاكس العمل الفرنسي في المغرب الأقصى شريطة إبقاء طنجة مرسى دولية ووضع جزء من المغرب المحاذي لجبل طارق تحت النفوذ الإسباني.

هذا الاتفاق الودي هو الذي كشف القناع لكل من الحكومة المغربية التي كانت تستعين في معاكستها لفرنسا بموقف بريطانيا منها، ولمصطفى كامل وأتباعه في مصر الذين كانوا يرون في فرنسا سندا للحرية في وادي النيل، إذ لا يخفى عن القراء والمهتمين ما وقع بعد هذا الاتفاق من تضامن بين بريطانيا وفرنسا إزاء كل مشكلة اعترضتهما في مصر والسودان أو في المغرب الأقصى. وقد مضى خمسون عاما، يضيف المؤلف، على هذا العقد وإذا بالمسؤولين في الدولتين يوطدون دعائم التعاون بينهما على أساسه لمقاومة تيار التحرير العاتي في كل من مصر والمغرب<sup>21</sup>.

ويخلص علال الفاسي إلى القول، بخصوص هذا الموضوع، بأنه لا يرى في هذه المواقف الاستعمارية من غرابة، فاللصوص وإن اختلفوا على القسمة متفقون دائما على نهب من يقع بين أيديهم من ذوي الحظوظ السيئة، لذلك فهو ينبه الرأي العام في كل من مصر والمغرب إلى أنه إذا كان المبتطلون يجدون من القوة ما يتغلبون به على شتى المصاعب التي تعترضهم ليتفقوا ويكونوا الجبهة التي تدافع عن الاستعمار، فكيف لا نتقدم نحن المنكوبين بهم لجمع الشمل وتكوين جبهة كفاح

19 - علال الفاسي، نداء القاهرة، ص. 122.

20 - محمد خير فارس، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب 1912 - 1913، دمشق، 1972م، ص. 5.

21 - علال الفاسي، نداء القاهرة، ص. 123 - 124.

واحدة تقاوم الاستعمار وتطرد الأجنبي عن بلادنا ؟ إلى أن يقول: "لقد تم الاتفاق الودي ليضمن سلماً آمناً للمستعمرين، وإننا لنساهم في جريمة هذا السلم حيث أننا لا نعمل متحدين لإقلاقه وإحلال الحرية والأمن القومي مكانه. فهل يأتي اليوم الذي ينقذ فيه بيننا - نحن الأشقاء المظلومين - اتفاق ودي ينظم تعاوننا وتضامنا في مكافحة الاستعمار؟"<sup>22</sup>.

## II - توظيف القيم والمبادئ النبيلة في التوعية وشحذ الهمم لتحرير البلاد:

كثيرة هي قيم النبل التي وظفها المرحوم علال الفاسي، لإثارة انتباه مخاطبيه إلى شدة خطورة المرحلة التي تمر منها البلاد، مؤكداً لهم، في الوقت نفسه، أن عملاً جباراً يبذله المستعمر لمسح الأمة وتذويبها حضارياً ودينياً، لذلك وجبت اليقظة وإعداد العدة لفك القيود. ولكي يبلغ المؤلف هدفه في التعبئة والتنوير، لجأ إلى النهل من المفاهيم السامية المستمدة من الكتاب والسنة، مثل:

### 1. اليقين:

يفيد المؤلف، بخصوص هذا الموضوع، أن القرآن الكريم يعنى قبل كل شيء بتقوية اليقين في نفوس المؤمنين الذين تصدمهم معاكسات خارجة عن إرادتهم أو تهاجمهم قوات مادية ترمي لعرقلة سيرهم أو منعهم من الوصول إلى إقرار النظام الذي يريدونه لأنفسهم ولل البشرية كلها<sup>(23)</sup>. وذلك ببذل وعوده سبحانه وتعالى بالنصر وحماية المؤمنين، ومن بين هذه الوعود، قوله عز وجل:

- ﴿أَخِزْ لِلَّذِينَ يَفْقَهُونَ بِأَنَّهُمْ يُفْلِحُونَ وَلَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَصْرُهُمْ لَقَدْ خَسِرُوا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>24</sup>.

- ﴿وَلَنْ تَغْنِي عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَلَنْ يَكُونَ اللَّهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>25</sup>.

- ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>26</sup>.

وهناك آيات أخرى تؤكد أن الله مولى المجاهدين، على غرار:

22 - علال الفاسي، نداء القاهرة، م، ص. 126.

23 - نفسه، ص. 160.

24 - سورة الحج، الآيتان 37-38.

25 - سورة الأنفال، الآية 19.

26 - سورة البقرة، الآية 193.

- ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾<sup>27</sup>.

- ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾<sup>28</sup>.

- ﴿وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾<sup>29</sup>.

ويضيف المصدر نفسه أن القرآن يعنى بالتنبيه لضرورة مراعاة طبائع الأشياء، فلا بد من القوة، كل أنواع القوة المادية التي يعتبرها الناس ضرورية للمحافظة على الكيان. وإذا كانت القوة المعنوية أمرا واجبا على الشعب المسلم كله، فإن القرآن يجعل القوة المادية من أهم أخلاق الدولة المسلمة، أي من الصفات التي يجب أن تحققها للمسلمين. قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم. وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾<sup>30</sup>. أما الرباط فأمر مؤكد لجميع المؤمنين بدليل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾<sup>31</sup>. فالرباط تبعاً لنفس المصدر، هو حماية الثغور بتجهيز المقاتلين ووضعهم حراساً في البر والبحر. كما أن الاستعداد بالقوة يشمل ما يمكن استعماله من أدوات عصرية كيفما كان نوعها، من السيف إلى القنبلة الهيدروجينية، مع جعل كل هذه الأسلحة، مهما تنوعت في تناول الدولة المسلمة، وهذا لا يتأتى إلا إذا كانت هذه الدولة قادرة على صنعها والحصول عليها.

فالإسلام، تبعاً لما سبق، يأمر بالقوة ويحث عليها، ويعتبر عدم الاستعداد إثماً، تعاقب عليه الدولة والشعب في الدنيا والآخرة، غير أنه لا يبيح استعمال القوة إلا لنشر العدل وحماية الإنسان من الطغيان<sup>32</sup>.

## 2- العزة:

يستهل المؤلف الحديث في هذا الموضوع بالتساؤل عن العوامل الكامنة وراء العزة وعن البواعث التي تجعلها قارة في النفس، متغلغلة في الحس والوجدان. هل هي المرح في الأرض

27 - سورة المومنون، الآية 78.

28 - سورة محمد، الآية 12.

29 - سورة الشورى، الآية 33.

30 - سورة الأنفال، الآية 61.

31 - سورة آل عمران، الآية 200.

32 - علال الفاسي، نداء القاهرة، م. س، ص. 162.



والشعور بالكبر فوقها والاستعلاء على الغير لأجل المال أو النقود؟ هل هي العظمة العنصرية التي تحيى بها أقوام لانتهاهم لسلالة نبيلة أو أرومة ماجدة<sup>33</sup>.

كل هذه وغيرها من التأويلات، يضيف مصدرنا، كانت فعلا، تعتبر في نفوس الأولين بواعث للفخر وعوامل للعزة، ولكنها لم تكن تثبت عند التمحيص لأنها سرعان ما تنقلب عند زوال الأسباب إلى عوامل في الذلة وضعف النفس ونزولها إلى الحضيض، ولذلك جاء الإسلام بتحطيمها جميعا، وتعليم المسلم أن عزته من وراء ذلك كله، تكمن في إيمانه التام وبقينه الحازم وثباته عند توالي الأحداث، إذ الإيمان بالله والقيام بهداية خلقه وحفظ النظام الحق الذي يعمر الأرض، هو ما يشكل أسس العزة الإسلامية التي يجب أن يشعر بها المسلم ويتخذها خلقا له في كل الأوقات، وفي سبيلها يجب أن يحى وأن (يموت) دون أن يقبل الهوادة: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>34</sup>. فالعلو ثمرة الإيمان، ولا يمكن أن يكون الأول بدون الثاني، ولا يمكن أن يتحقق الثاني إلا والأول معه، لتلازم العلو مع الإيمان تلازم الظل مع الإنسان<sup>35</sup>.

وتأسيسا على ما سبق، تستطيع القوة أن تنال من جسم المسلم، وتستطيع أن تسلبه ماله وحياته أو تخرجه من أرضه وعشيرته، ولكنها لا تستطيع أن تسلبه الإيمان أو تزيل عنه اعتزازه بنفسه واعتداده بعقيدته. وحول هذا المعنى، يقول عز وجل: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَتْلٍ مَعَهُ رِئُوسٌ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا امْتَكَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾<sup>36</sup>.

وهكذا نجد الأستاذ علال الفاسي وكأنه يخاطب المغرر بهم من المغاربة ذوي النفوس المهزوزة، الذين ارتقوا في أحضان السلطات الاستعمارية وتعاونوا معها من أجل الشعور بالعزة والاستقواء بنفوذها خدمة لمصالح دنيوية زائلة، وما علموا أنهم سائرون في طريق الخزي والعار، إلا بعد فوات الأوان. وإمعانا في المزيد من الإيضاح والتبسيط لما هو بصدد عرضه، يقول: "هل هذه القيم المادية التي يتغالى الناس فيها ويعملون على اقتنائها هي قيم حقيقية للأشياء؟ أم أنها أعراض زائلة تحدث عنها أوهام هائلة؟ وإذن فما هي القيمة الحقيقية للأشياء؟ أليست في علاقتها بالعالم وموضعها منه، وفي التفكير في أصلها ومنشئها، وما هي الطرق التي يجب أن تصرف فيها أو توجه إليها؟ إن المال لا

33 - نفسه، ص. 167.

34 - سورة آل عمران، الآية 139.

35 - علال الفاسي، نداء القاهرة، م. س، ص. 171.

36 - سورة آل عمران، الآية 146.

قيمة له إلا إذا كان يوضع في المكان الذي خلق من أجله، أي أن يكون وسيلة لسد حاجة البشر وإسعافهم، لا أن يكون غاية يستعبد الإنسانية ويطغى على حاسة الخير فيها. والجاه والعزة ووفرة الأهل والعشيرة، ما قيمتها إذا لم تسخر لتقوية الإخاء وضرب المثل الأعلى في المحبة بين الناس. وهذه القوة المادية، ما هي مكانتها في الأرض وفي السماء إذا كانت ستسخر لاستعباد الخلق واستغلال عرق الجبين لفائدة ثلة من المستكبرين، وإذا كانت ستشعل الحروب وتثير البغضاء؟ ولكن القوة الحقيقية هي التي تعمل على إسعاد البشر ونشر العدل وإسعاف المظلومين<sup>37</sup>.

فهل كان المتعاونون من المغاربة مع الاستعمار، وهم يقدمون لأسيادهم خدمات سخية، يساهمون فعلا في إسعاد إخوانهم المغاربة، وإسعاف المظلومين منهم، ونشر العدل بينهم؟ إنه الدرس البالغ الذي يجهد علال الفاسي في تلقيه لبنى وطنه، زمن تكالب القوى الاستعمارية عليه.

### 3. الهجرة:

انطلق المؤلف لمناقشة هذا المفهوم من قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية)<sup>38</sup>، ليوجه اللوم والعتاب للذين يهجرون أوطانهم من المسلمين فرارا من العدو والكافر، اعتقادا منهم ربما أنهم يتأسون بسيرة الرسول الأعظم في ذلك، سيما مع وجود من يدعم موقفهم هذا من بعض الفقهاء. يقول علال الفاسي: "ولو أن المسلمين عملوا بهذا التعليم النبوي ولم يضلهم الفقهاء في تعميم الهجرة وخلودها، لما تحلى الإسلام عن كثير من جزر البحر وخيرها من البلاد التي أسرع المسلمون بالهجرة منها لمجرد احتلال الأجنبي لها. ومن حسن الحظ أن المسلمين أدركوا أنه لا محل للهجرة اليوم من أوطانهم، وإن تسلط عليها المحتل (...). إن المكث في أرض الوطن ومجاهدة العدو داخله وعقد النية على إجلائه عنها، هي أصدق تعليم يجب أن يعمل به المسلمون في هذا العصر وفي كل العصور. وهل أضر بقضية فلسطين غير تشرذ أهلها عنها؟"<sup>39</sup>.

غير أن هناك لونا من الهجرة الإجبارية، يضيف المصدر نفسه، هي ضروب النفي والتشريد الذي مازال الزعماء يلقونه من الطغاة، وهذا شيء طبيعي لا يمكن أن يتغير إلا إذا تغيرت طبائع الظلم، ومعاني الطغيان، لذلك اعتبر الإسلام هذا الإبعاد أشد ضروب العداء التي يرتكبها الظالمون

37 - علال الفاسي، نداء القاهرة، م. س، ص. 170.

38 - نفسه، ص. 187.

39 - نفسه، ص. 188.

ضد المؤمنين، وجعلها من موجبات النهي عن توليهم والتوادم معهم، فالذين يقاتلوننا من أجل مبادئنا ويخرجوننا من ديارنا وحلفائهم الذين يظاهرونهم على اضطهادنا، كل أولئك يجب أن نعتبرهم خصوما نقاطعهم ولا نتصل بهم ولا نتعامل معهم في تجارة ولا في وداد<sup>40</sup>: ﴿إنا ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم﴾<sup>41</sup>.

وختم الكلام حول هذا الموضوع بتوجيه هذا النداء: "فيا أيها المستضعفون في الأرض تشبثوا بكل شبر من وطنكم واعلموا أن مقامكم فيه هو رباط مقدس وأفضل عمل تقومون به في سبيل الله، وأن الهجرة التي تطالبون بها اليوم هي الهجرة عن مخالطة الأجني والكفر بواقعه بينكم<sup>42</sup>، ﴿لا يفرنك قلب الذين كفروا في البلاد، متاع قليل، ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾<sup>43</sup>".

#### 4. العزم:

يرى المؤلف أن العزم، صفة أخرى من الصفات التي ينبغي أن يتخلق بها المكافحون ويعتمد عليها المناضلون، بل إنها خلق يجب أن يتمتع به كل إنسان في حياته وعمله في اليوم واليلة، لأنه لا أضر على سير الأمور وإنجاحها من التبلبل وخصوصا في الميادين السياسية، فإن التردد في أخذ القرار الحاسم يضر بالكثير من الشؤون ويعسر على الحكومات شأن تدبيرها. ومع أن نصيبا من العزم موجود عند الكل، فإن حقيقته لا تتم إلا للقليلين من الرجال، بل إن قسما من الرسل هم الذين وصفهم الله بأنهم أولو العزم الذين عهد الله إليهم بالخلافة في الأرض، فقاموا بما يجب عليهم وثبتوا في المواقف وصبروا على ما أودوا حتى جاءهم النصر، وهل أهلك آدم وأخرجه من جنته إلا ضعف العزم الذي لم يساعده على مقاومة إغواء الشيطان<sup>44</sup>. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما﴾<sup>45</sup>. وهذا يعني أن العزم الصحيح لا يعرف النسيان، وإلا تعلق الأمر بالتعمد في التخلي عن الوفاء بالعهد والقيام بالواجب.

40 - علال الفاسي، نداء القاهرة.

41 - سورة الممتحنة، الآية 9.

42 - علال الفاسي، نداء القاهرة، م. س، ص. 188.

43 - سورة آل عمران، الآية 196-197.

44 - علال الفاسي، نداء القاهرة، م. س، ص. 209.

45 - سورة طه، الآية 112.



ارتباطا بما سبق، ينصح أستاذنا علال الفاسي بعدم اللجوء في حالات معينة إلى الاستشارة، لأن هاته الأخيرة يجب أن تكون في حالة التردد، وقبل اهم. أما إذا هم الرجل بالعمل، فما عليه إلا أن يركب رأسه ويتقدم للتنفيذ لأن العهد الموكول إليه واجب الأداء، لا يصح أن يكون محل استشارة أحد، متنكباً في ذلك عن ذكر العواقب، لأن الذي يستعد للتضحية وبذل النفس، فما دونها لا يمكن أن يصرف الوقت في التفكير عما يترتب على عمله، من تيتيم الأولاد وإلحاق الضرر بالأسرة وغير ذلك من المثبطات التي لو نظر إليها الإنسان قليلاً لما هم ولما وجد العزم. فالعزم عنوان الإرادة وبه يستطيع المرء أن يقلب الأوضاع ويغير الأحوال، متحدياً كل الصعاب. يقول صلى الله عليه وسلم: (إن لله عبداً لو أقسموا على الله لأبرهه)، والقسم لا يكون إلا نتيجة العزم والتصميم على تحقيق الأشياء<sup>46</sup>.

#### 5. التثبيت:

التثبيت، كما يراه المؤلف، من الخلق الطيب الذي أوصانا به الإسلام، وهو يعني ألا نصدر عن شيء إلا بعد الدراسة والتمحيص والتقليب على كل الجوانب، وإلقاء النظرة الشاملة التي تجعل الموضوع يجلو أمامنا واضحاً بيناً، ويعني أيضاً ألا نتعجل في الحكم على الناس ولا على الأشياء لأن الثقة في الإنسانية أولاً مصدر أساسي للتغلب على الشك المتمركز في طبيعة النفوس. هذا الخلق يبدو أكثر ضرورة للمواطن المغربي الذي يتأهب اليوم للقيام بأخطر كفاح اجتازته أمتنا، مما يفرض على الذين يتحملون مسؤولية التوجيه للرأي العام في بلادنا أن يكونوا أهلاً للثقة التي وضعها فيهم الشعب، وأن يكونوا من الحريصين على هداية إخوانهم وإرشادهم بقدر حرصهم على مقاومة الأعداء وأذنانهم من الخونة والمنافقين، وهذا يستوجب من الجميع أن يحذر كثيراً من دسائس الأعداء<sup>47</sup>.

إن التسليح بمثل هذا الخلق، وما شابهه من قيم الأخلاق النبيلة، يجعل محاولة الفرنسيين في زرع الخلافات عن طريق الدس والإيقاع بين العرب والبربر أو السنة وغيرهم، تبوء بالفشل ولا تجني من وراء ذلك سوى المزيد من حقد الأمة بأسرها على الغاصبين الذين يحبون أن تشيع الفرقة في

46 - علال الفاسي، نداء القاهرة، م. س، ص. 211.

47 - نفسه، ص. 206.

المواطنين ليتمكنوا من مداومة سلطتهم وموالاتة تحكمهم، مادام الشعب المغربي قد صمم جميعه العزم على أن يبقى صامدا أمام الأعداء مؤمنا بحكم السماء، مواصلا كفاحه في ثبات وعز وإخاء<sup>48</sup>.

ومن القيم والمبادئ الأخرى التي ضمنها المؤلف كتابه وبسط القول فيها، علاوة على ما سبق، نجد: التضامن والاكنتاب ووحدة القيادة ووحدة الصف، وهو مجهود فكري جبار سخره لتوعية مواطنيه وإلهاب شعلة الحماس فيهم، لرفض الذل والمهانة المفروضين من قبل العدو المحتل للبلاد.

### III - محمد الخامس الفاتح لما أغلق:

أتطرق تحت هذا العنوان لمجموعة من المواضيع والقضايا الواردة في الكتاب موضوع العرض، والتي وجدت مضامينها تدور حول شخصية الملك محمد الخامس، ودورها المحوري في وضع حد للأزمة السياسية الخانقة بين المغرب وفرنسا بعدما أقدمت عليه من نفي لمحمد الخامس يوم 20 غشت 1953م<sup>49</sup>، وأنه بدون قبول السلطات الفرنسية إرجاع الملك لعرشه، مع ما يرافق ذلك من استقلال وحرية وكرامة للمغرب وشعبه، فلن يضع زعماء الحركة الوطنية وقادة المقاومة وجيش التحرير حدا للأعمال المعادية للعدو المحتل ولن يقبلوا أي هدنة معه.

من بين المواضيع المباشرة ذات الارتباط الوثيق بمحمد الخامس:

#### 1. نداء يوم 20 غشت 1953م:

ألقي علال الفاسي هذا النداء من مذياع "صوت العرب" بالقاهرة، بعد نصف ساعة من اختطاف جلالة الملك في التاريخ المذكور. وهو نداء قوي، كشف بكل اقتدار عن عيوب السياسة الفرنسية وثغراتها، وفضحها أمام العالم، لخرقها لأهم وأبرز بنود الحماية، وهو المحافظة على وحدة المغرب ونظامه الملكي الضامن لوحدة شعبه<sup>50</sup>. ونقدم فيما يلي بعضا من مضامين هذا النداء: "لقد قضى القضاء، وبلغت الغطرسة بالفرنسيين إلى حد أن يبعدوا ملكنا الشرعي عن عرشه. نعم، لقد توجه الجنرال غيوم اليوم بعد الظهر إلى القصر الملكي بالرباط، مخفوا بالجيش والدبابات الفرنسية، وطلب من جلالة السلطان أن يتنازل عن العرش، ولكن جلالته رفض بكل إباء وشمم. فما كان من

48 - نفسه، ص. 208.

49 - من أجل المزيد من المعلومات بخصوص هذا الموضوع، يمكن الرجوع إلى: عبد اللطيف جبرو، عودة محمد الخامس، مطبعة فضالة المحمدية، 2005م.

50 - محمد خير فارس، م. س، ص. 53 ثم 56.

ممثل فرنسا إلا أن نفذ الجريمة النكراء، فأسر الملك وولي عهده الأمير مولاي الحسن وأخاه الأمير مولاي عبد الله، حيث نقلتهم طيارة حربية إلى منفى كورسيكا<sup>51</sup>.

وبعد الإعلان عن خبر الإبعاد والنفي للملك، انتقل علال الفاسي في النداء نفسه، إلى مناقشة خطورة هذا الفعل الإجرامي، من قبل المقيم العام الفرنسي بالرباط ومساعديه، وموقف محمد الخامس منه، وما يمكن أن تترتب عن ذلك من انزلاقات سياسية مزللة للثقة المهزوزة أصلاً بين البلدين، لعظم شأن الملك عند المغاربة: "إن القوة الفرنسية قد عملت عملها وذلك ما كنا نتوقعه في كل وقت، لأن محمد الخامس أكبر من أن يظل على عرش تظله حماية أجنبية، ولأن أعماله وكفاحه لا يسمحان له بأن يظل على مرأى ومسمع من الجلادين الفرنسيين. (...) لقد انتهكت فرنسا بعملها هذا كل مبادئ الحق والعدل، وأثبتت براءتها من كل المواثيق الحرة. ولقد اعتدت على سيادة مراكش (المغرب) وعلى عرشها وعلى الإسلام والعروبة (...). وفعلت أكثر من ذلك إذ قهرت كل مراكشي ومراكشية، بل كل مسلم ومسلمة، وعربي وعربية، على وجه الأرض في شخص محمد الخامس الذي كان يمثل بحق عزة المؤمن، وقوة المكافح، وكرامة العربي"<sup>52</sup>.

أما وأن فرنسا قد نفذت جريمتها في حق ملك شرعي، من غير أن تعير أي اهتمام للمواثيق الدولية، فإن الزعيم علال الفاسي، ختم هذا النداء، وهو ينزل بكل ثقله، دفاعاً عن محمد الخامس رمز الوحدة والاستقلال والحرية، يقول علال الفاسي: "وإنني كزعيم حزب الاستقلال، وكواحد من علماء القرويين الذين لهم وحدهم حق انتخاب السلاطين، أعلن رسمياً أن الملك الشرعي لمراكش كان وسيظل هو محمد الخامس. وإن ولي عهد المملكة الشريفة هو مولاي الحسن النجل الأكبر لسلطان مراكش، وإننا لن نعترف بأي سلطان أو رئيس صوري تنصبه السلطات الفرنسية باسمها أو باسم أذنانها أو من ترغمهم بالقوة على ذلك (...). ونؤكد أن نظام المغرب هو النظام الذي سنقره نحن باتفاق مع شعبنا ومع ملكنا محمد الخامس يوم يتم استقلال مراكش وجلاء الجيوش الفرنسية عنها. وإنني أهيب بالشعب المراكشي أن يواصل كفاحه من أجل الغاية الوحيدة التي هي استقلال البلاد، وأن يبذل معنا كل ما يستطيعه من الوسائل للذب عن كرامة ملكنا الشرعي، وإعادةه إلى عرشه، عالي الرأس مرفوع الكرامة. إنني أهيب بالعالم الإسلامي كله أن يذكر

51 - علال الفاسي، نداء القاهرة، م. س، ص. 3 وما بعدها.

52 - نفسه، ص. 4.



مراكش في محتتها وأن يؤيد حركتها ويبدل لها وسائل العون"<sup>53</sup>. إلى أن يقول: "أؤكد لجميع المراكشيين والمسلمين وللعالم الحر أننا لن نتقهقر عن موقفنا أو نحيد عن خطتنا إلى أن نحقق آمال الأمة في الحرية والاستقلال وطرد الغاصبين، ومادام الله معنا فالنصر لنا"<sup>54</sup>.

## 2. توضيح محمد الخامس<sup>55</sup>:

تحت هذا العنوان، تطرق علال الفاسي لشخصية الملك محمد الخامس المنفي، المبعد عن عرشه وبلاده وشعبه، مستحضرا "كارزماه" وخصاله وورعه، وظروف بيعته، ومواقفه المشرفة من السلطات الاستعمارية التي خاب ظنها في من اختارته ليكون أداة طيعة في يدها لتحقيق أهدافها الاستعمارية. وفيما يلي بعض من الفقرات المعبرة التي أراد بها صاحبها إبراز أهم مظاهر هذه التوضيح.

"في مثل هذا اليوم منذ 26 عاما بايعت الأمة المراكشية محمد بن يوسف سلطانا لمراكش، وكان جلالته إذ ذاك في عنفوان الشباب، ومع ذلك فقد اختاره علماء الإسلام من بين إخوته الكبار وأعمامه الأمراء، لما توسموا فيه من الذكاء وتوقعوه من الخير، وقد نص عقد البيعة على أن يسير السلطان بمقتضى كتاب الله وسنة رسوله، ويعمل لصالح المسلمين ويدافع عن حقوق البلاد (...). وهكذا أصبح هناك عقد بين محمد الخامس وبين أمته على أن يقوم الأول بواجبه الديني والوطني، وتقوم الأمة بواجبها من الالتفاف حوله والتضامن معه في كل ما يسعد الوطن ويرفع من شأن الدين"<sup>56</sup>.

بعد بضعة أعوام على البيعة، يضيف مصدرنا، صار محمد الخامس يقدر مسؤوليته، وكان أول ما بدأ به في عمله:

- تطهير القصر الملكي من ضروب الفساد.

- تطهيره من العناصر التي بثها الفرنسيون فيه للتجسس على كل حركة تجري فيه.

53 - علال الفاسي، نداء القاهرة، ص. 4.

54 - نفسه.

55 - لقد بسط القول في هذه التوضيح أيضا، المفكر المغربي محمد العربي المساري، في كتابه "محمد الخامس من سلطان إلى ملك"، مطبعة الرسالة، الرباط، الطبعة الثانية 2009م، خصوصا ما ورد في تمهيد الكتاب (ص. 5) تحت عنوان: محمد الخامس في القلب وفي الذاكرة، ثم في فصل من فصول الكتاب (ص. 147) حيث تطرق لموضوع: كيف تحمل ملك سجين ضغط فرنسا المركز.

56 - علال الفاسي، نداء القاهرة، م. س، ص. 13.

وكان من بين خطواته المالية في التدبير السياسي للبلاد:

- إصلاح جامعتي القرويين بفاس وابن يوسف بمراكش لتتلاءم برامجهما مع التنظيمات الحديثة.

- نفس المجهود قام به بالنسبة للمدارس القرآنية، التي أراد أن تكون لغة التعليم بها هي العربية، والمواد المدرسة عربية إسلامية دون أن يقل مستواها عن مستوى تلاميذ مدارس الحماية.

- إشرافه الفعلي على حركة الإصلاح الديني، ومقاومته لأدعياء الطرق الصوفية.

- تشجيع الفتاة على الدراسة والتحرر.

- ربطه مصير المغرب بمصير العرب والمسلمين<sup>57</sup>.

هذه الروح الوثابة لدى جلالة الملك، جعلته يصطدم بموقف الإدارة الاستعمارية التي وضعت في طريقه الكثير من العقبات والعراقيل. وبعد أن فشلت الإقامة العامة الفرنسية بالمغرب في ترويض رمز وحدة البلاد وجعله ينخرط في خدمة مصالحها، انطلقت المؤامرة الفرنسية التي بدأ مسلسلها بشكل عملي منذ سنة 1944م، عندما أعلن جلالة الملك تأييده المطلق للوثيقة التاريخية التي رفعها إلى جلالته حزب الاستقلال، ليستمر الصراع بينه وبين الفرنسيين وأذنانهم لما يقرب من عشر سنوات، قبل أن تنفذ الإدارة الفرنسية قرار النفي والإبعاد للسلطان، بعد أن أيدتها الدول الأجنبية الكبرى<sup>58</sup>. وطيلة هذا الصراع، ظل الملك واقفا كالطود الشامخ، يقول علال الفاسي، رافضا ما كانت تعرضه عليه فرنسا من إصلاحات مزعومة، وهي الإصلاحات التي آثر جلالته المنفى على أن يقبلها لما فيها من إهانة. وهذا ما يعتبره علال الفاسي تضحية ما بعدها تضحية، يجب على الأمة المغربية أن تنزلها المنزلة التي تستحقها. وفي ذلك يقول المؤلف: "إن الأمة المراكشية لتحيي اليوم عيد العرش السادس والعشرين، وهي واعية بأن عليها واجبا كبيرا نحو الملك الأسير هو واجب الإخلاص لبيعته والوفاء لدعوته، وواجب البذل من أجل تحرير الوطن وإعلاء كلمة الإسلام وإسعاد الأمة وإرجاع ملكها الشرعي (...)".

57 - علال الفاسي، نداء القاهرة، ص. 14.

58 - نفسه، ص. 15.

"أيها الملك العظيم<sup>59</sup>، إننا نحْييك باسم العروبة والإسلام اللذين أعليت ذكرهما وباسم المغرب المتعلق بك المخلص لعرشك، نحْييك باسم الشهداء الأبرار (...) دفاعاً عنك ومسحاً للعار الذي ألصقه الأجنبي بالبلاد، نحْييك باسم الآلاف من المعتقلين والمشردين بسبب هتافهم باسمك وإعلانهم الوفاء لك (...). نحْييك باسم الكشفية التي أسدلت عطفك عليها وجعلت من ابنك وولي عهدك كشافها الأكبر وراعيها الأمين (...). نحْييك باسم هؤلاء وأولئك وقد جمعهم الحب لك والوفاء لعهدك وضمهم اليقين في مصير أمتك فتعاهدوا على مواصلة الكفاح حتى يعيدوك لعرشك ويعيدوا الالتفاف من حولك للقيام معك بالعمل الحاسم من أجل الحرية والاستقلال. أيها الملك هذا عهد الله وإنا به لعاملون، وإن جندنا لهم الغالبون"<sup>60</sup>.

### 3. لا مفاوضة قبل عودة الملك وإعلان الاستقلال:

كانت مناسبة إعلان أستاذنا علال الفاسي لإخوانه من المناضلين، والرأي العام الوطني والدولي، عن موقفه هذا من المفاوضات مع المستعمر، حلول الذكرى السابعة والعشرين لجلوس الملك الشرعي محمد الخامس على عرش أسلافه الكرام، ومرور ما يزيد عن سنة من تاريخ الإبعاد والنفي، وكانت هذه المناسبة فرصة سانحة للمؤلف لإعادة طرح مسألة محمد الخامس، كرقم أساسي في المعادلة الصعبة التي ترهن مستقبل العلاقات المغربية الفرنسية، وهو يذكر من جديد بشهامة هذا الملك، وباستحالة انفراج الأزمة بدون عودته وإعلان الاستقلال. فما هي حيثيات هذا الموقف؟ ووفق أي منطق صاغ أفكاره؟

لجأ المؤلف إلى التذكير بالمؤامرة التي تمت بتدبير المقيم العام الفرنسي بالرباط الجنرال "غيوم"، والمتمثلة في نفي الملك وإبعاده، ليحل محله تمثال لا ينطق ولا يعي، ولما كان رد فعل الشعب المغربي مزلزلاً، عمدت السلطات الفرنسية إلى اعتقال الزعماء وتشريد الأنصار، فلم يغن ذلك الاستعمار شيئاً، فبدأ رجال الإدارة الفرنسية وأذنابهم يتلاومون، وصار الساسة في باريس يبحثون عن مخرج، لكنهم لا يجدون<sup>61</sup>.

59 - هذا الحب والوفاء من قبل علال الفاسي للملك محمد الخامس، نجد صدهاء أيضاً في ص 5 من كتاب آخر له تحت عنوان: "منهج الاستقلالية"، الصادر بعد حصول المغرب على الاستقلال ووفاء جلالة الملك محمد بن يوسف.

60 - علال الفاسي، نداء القاهرة، م. س، ص. 16.

61 - نفسه، ص. 69.



وكان بإمكانهم أن يجدوا المخرج المنشود لو أدركوا، يضيف علال الفاسي، أن القضية كلها في يد الشعب المغربي، ومفاتيحها في يد محمد الخامس. وقد أجمعت الأمة على أنه لا مذاكرة ولا مباحثة قبل رجوع الملك لعرشه، ثم لا مفاوضة في كل الأحوال قبل إعلان الاستقلال. وبعد أن حدد موقفه ومعه موقف أبرز رجال الحركة الوطنية الفكرية والمسلحة، من المستعمر في مسألة ملك البلاد، بالشكل المنوه به أعلاه، توجه لطمأنة محمد الخامس، وتجديد العهد له على عدم قبول أي حل يجيد عن عودته ومعه استقلال وحرية البلاد. يقول علال الفاسي: "أما أنت أيها العاهل العظيم، فلن أن يضيرك أن تظل في منفك أمدًا، مادام الله يرعاك والشعب من حولك. فإنك تزيد المؤمنين والمجاهدين صبرا والظالمين والمستعمرين قلقا ويأسا، وإننا اليوم في ذكراك المجيدة نتوجه إليك باسم الشعب المغربي بأسره وباسم المجاهدين الأحرار، مؤكدين عهدنا على الوفاء ومجدين قسمنا بالفداء إلى أن تعود إلينا ثم إلى أن يتحرر الوطن ويسعد المواطنون"<sup>62</sup>.

#### 4. مجلس الوصاية<sup>63</sup>:

مجلس الوصاية الذي قال عنه بيان المقرري إنه حارس لعرش ابن عرفة، اعتبره علال الفاسي اعتداء على السيادة المغربية من قبل الإدارة الفرنسية، في شخص سيدي محمد بن يوسف سلطان المغرب الشرعي. وكان رد الفرنسيين الرسمي، أنهم يحاولون من خلال تنصيب هذا المجلس، حل مشكلة العرش ومشكلة المغرب على العموم بصفة تدريجية. وظنوا أنهم قطعوا أشواطاً مهمة في ذلك، عندما تمكن الجنرال "كاترو" من الحصول على اتفاق مع جلالة السلطان المنفي في انتسيرا في على خطوط السياسة الجديدة التي تقوم على مرحلتين:

المرحلة الأولى: تأسيس مجلس للعرش يصبغ محمد الخامس عليه صفة الشرعية ليقوم مؤقتاً بالنيابة عن جلالته ريثما تتم المرحلة الثانية.

المرحلة الثانية: تأسيس حكومة مغربية تقوم بالإشراف على انتخاب مجلس وطني والدخول في مفاوضات للاعتراف بالمغرب كدولة حرة ذات سيادة، وعقد معاهدة تحالف مع فرنسا على أساس النّدّ للنّد. لكن سرعان ما أخلفت السلطات الفرنسية وعدها، فأعلنت عن سياسة أخرى تقوم على

62 - علال الفاسي، نداء القاهرة.

63 - ناقش هذا الموضوع أيضاً، الباحث عبد اللطيف جبرو، م. س.

الاحتفاظ بالدفاع والخارجية لفرنسا، وذلك بعد أن يحين الوقت لتحقيق الحكم الذاتي الموعد على الطريقة التونسية<sup>64</sup>.

وبعد يوم من هذا الإعلان، يضيف نفس المصدر، اندلعت الثورة المغربية وأصدرت القيادة العامة لجيش التحرير في المغرب بلاغا يعلن توحيد حركة الكفاح المسلح في مراكش (المغرب) والجزائر، ويؤكد أن الكفاح لن ينتهي إلا بعد تحقيق الاستقلال لأقطار المغرب العربي وعودة الملك محمد بن يوسف لمقر عرشه بالرباط<sup>65</sup>.

أما علال الفاسي، فقد أصدر بيانا باسم الشعب المغربي، من عدة نقط أبرزها:  
أ- عدم الاعتراف بمجلس الوصاية الحالي.

ب- لا محل للتجربة التونسية في مراكش (المغرب)، ولا يمكن للشعب المراكشي (المغربي) أن يقبلها.

ج- إن الحل الصحيح هو عودة جلالة السلطان لمقر عرشه وإعلان الاستقلال المراكشي (المغربي) وسائر أقطار المغرب<sup>66</sup>.

5. بيان بمناسبة عودة جلالة الملك إلى فرنسا في 31 أكتوبر 1955م<sup>67</sup>:

يخبر هذا البيان بعودة جلالة سلطان المغرب الشرعي سيدي محمد بن يوسف إلى فرنسا، بعد أن أجمعت الأمة المغربية برمتها على ضرورة عودته إلى عرشه، وبأن الأمر الذي جاهدت الأمة في سبيله 26 شهرا، أصبح أمرا وشيك الوقوع.

"وإننا لتتوجه (يقول علال الفاسي) مع الشعب المغربي جميعه إلى جلالة ملكنا المعظم بخالص التهاني وعظيم التبريك، معربين له عن تعلقنا الدائم بشخصه المحبوب وعرشه الميمون (...)"، منها في الوقت نفسه إلى أن المعركة لم تنته بعد، ولذا وجب الاستمرار في التضامن لعدة أسباب أهمها:

64 - علال الفاسي، نداء القاهرة، م. س، ص. 17.

65 - نفسه.

66 - نفسه، ص. 97-98.

67 - ناقش هذا الموضوع روم لاندو في كتابه: محمد الخامس منذ اعتلائه العرش إلى يوم وفاته، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، سنة 2000م، ص. 100 وما بعدها.

أ- أن مجلس الوصاية الذي نصبه الفرنسيون ما يزال موجودا وأن جلالة الملك لم يطلق سراحه بعد ليرجع إلى عرشه طبقا لإجماع الأمة.

ب- أن الخونة الذين تآمروا بالأمس على جلالته ما يزالون يسرحون ويمرحون ويسعدون للعب أدوار أخرى للمحافظة على النظام الاستعماري الذي منحهم عددا من الامتيازات.

ج- أن الاستقلال الذي نفي من أجله جلالة الملك وعذب في سبيله مئات الآلاف من شباب الأمة وشيوخها، ما يزال مغصوبا<sup>68</sup>.

اعتبارا لكل ما سبق، يؤكد مصدرنا، أن المقاومة المغربية لن تنتهي إلا بعودة الملك ومعه استقلال البلاد.

وفي نهاية هذا البيان، عمد مؤلف "نداء القاهرة" إلى تلخيص درسه البليغ الذي يوجز في الواقع مضمون الكتاب برمته، بالقول: "فحذار أيها الشعب المغربي الكريم من دسائس المستعمرين والمنافقين، وليكن لك في هذا النصر الذي جمع الأمة حول ملكها العظيم خير حافز على تجديد عزمك وتقوية إيمانك والاستعداد الدائم لمواصلة العمل حتى يتم ما تصبو إليه من حرية واستقلال لنا وللمغرب العربي جميعه. والله ولي الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون"<sup>69</sup>.

68 - علال الفاسي، نداء القاهرة، م. س، ص. 100.

69 - نفسه، ص. 101.



## ثورة الملك والشعب في سيرة عبد الرحمان اليوسفي

أحمد بلخيري  
باحث في التاريخ - فاس

صدرت سيرة عبد الرحمان اليوسفي بعد طول انتظار، عبر عنها كاتب ومعد السيرة مبارك بودركة في تقديمه، "وكثيرا ما حاولت إقناعه بتدوين سيرته، خصوصا أدواره ومواقفه في الحركة الوطنية وفي المقاومة وجيش التحرير، وفي ما شهدته بلادنا من أحداث جسام بعد استقلالها. وكان يقابل إلحاحي بصمت أو بابتسامته العريضة، الحاملة لكل المعاني والتأويلات"<sup>1</sup> وعبر عن هذا الموقف الصحفي رشيد شريت، بعد إلحاح من صديقه ومرافقه بودركة الذي لولا إلحاحه لما خرجت هذه المذكرات<sup>2</sup>.

ويواصل بودركة الحديث، "وأخذت على عاتقي مهمة إصدار هذه المتون من التاريخ السياسي والفكري لهذا الوطني، وذلك حتى يتمكن المؤرخ والباحث من الرجوع إليها باعتبارها نتاج أحد الشهود الكبار حول مرحلة طويلة بصمت التاريخ المغربي الراهن"<sup>3</sup> وحملت السيرة عنوان أحاديث فيما جرى من سيرتي كما رويتها لبودركة، في ثلاث مجلدات ناهز عدد صفحاتها ألفا وثلاثمائة صفحة، غطت المرحلة الزمنية من ولادة اليوسفي سنة 1924م إلى اعتزاله العمل السياسي سنة 2003م. ويعبر اليوسفي عن هذه المرحلة قائلا: "عايشت ثلاثة ملوك وبالتالي عاصرت ثلاثة مراحل انتقالية في تاريخ المغرب الراهن. هذا الرجل الذي يفضل الصمت وعدم الحديث عن نفسه، وإن كان ممن شاركوا في لحظات مهمة من تاريخ المغرب الراهن"<sup>4</sup>.

1 - عبد الرحمان اليوسفي: أحاديث في ما جرى

2 - رشيد شريت: مذكرات الاتحاديين، المساء الشهري ع 5335، 2015/04/31م.

3 - عبد الرحمان اليوسفي: أحاديث فيما جرى، مرجع سابق ص 17

4 - لحسن العسبي: مجلة زمان، ع 37 نونبر 2016م، ص 24

يقول اليوسفي "مارست خلال حياتي المهنية القانون، والسياسة، والصحافة، وإدارة الشأن العام، والسلطة. كانت كل هذه المراحل من حياتي متكاملة ومتراصة، لقد اعتمدت مسارا ينتهج الحوار ومحاولة الإقناع مع الثبات على المبادئ"<sup>5</sup>.

وليس بوارد في هذا المقام الإشارة إلى مناقب الرجل وخصاله ومواقفه ونزاهته، ونستشهد ببعض مما ورد في رسالة صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله إلى الأستاذ اليوسفي إثر اعتزاله العمل السياسي 30 أكتوبر 2003م.

"فقد كانت مسيرة حياتك أطالها الله، عطاء مخلصا في خدمة بلادك، وهكذا أخذت موقعك المشرف في تاريخ الوطنية المغربية، مناضلا متفانيا قبل الاستقلال، ومقاوما صامدا في مرحلة التحرير بقيادة جدنا المنعم محرر المغرب، جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه، وخائضا غمار معركة البناء الديموقراطي بعد الاستقلال. فأتيح لك من خلال هذه الأدوار والمواقع الكبرى في تاريخ المغرب أن تراكم لديك من التجارب السياسية الغنية بالمواقف المشرفة والإخلاص للمصالح العليا للبلاد. مما أهلك عن جدارة واستحقاق لتكون وزيرا أولا في حكومة التناوب فكنت دوما موضع تقديرنا الملكي السامي"<sup>6</sup>.

#### - الاحتفاء بصدور سيرة اليوسفي:

ترك صدور سيرة اليوسفي أصداء قوية لرمزية الرجل والأدوار التي اضطلع بها في التاريخ المغربي، وما تحتزنه ذاكرته من أحداث، لما للسيرة الذاتية من صلة وثيقة بالتاريخ لأنها يشتركان في تسجيل الوقائع والأحداث والمواقف<sup>7</sup> ولا يملك الباحثون إلا أن يعبروا عن ارتياحهم لهذا الإنتاج، وتشجيعهم الفاعلين السياسيين على الكتابة عن هذا التاريخ الذي ساهموا في صنعه، والذي يهم المغاربة قبل أن يهم المعنيين أنفسهم<sup>8</sup>.

5 - عبد الرحمان اليوسفي: أحاديث في ما جرى، مرجع سابق.

6 - نفسه، ص 214 - 215

7 - جورج ماي: السيرة الذاتية، تعريب محمد القاضي، عبد الله صولة، رؤية للنشر 2017م، ص 82

8 - عثمان المنصوري: التاريخ والسياسة، جريدة المساء.

وتكمن قيمة السيرة الذاتية في الشهادة الإنسانية التي تقدمها. والمذكرات هي نمط من الكتابة تستند إلى الممارسة والملاحظة والرواية، وتتصرف في ذلك كله بالاختيار والترتيب، وقد تعتمد على الوثائق تقدمها لتعزيز تلك الممارسة والملاحظة والرواية<sup>9</sup>.

وتعتبر المذكرات الشخصية من المصادر التاريخية المهمة وهو ما أشار إليه اليوسفي في الحفل التكريمي الذي أقيم بمناسبة صدور سيرته. إن المذكرات هي فرصة لتجديد العهد بيننا جميعا، لنذكر بعضنا بالقيم الوطنية والدروس النضالية التي عبتها أجيال من المغاربة والدولة والمجتمع منذ تأسيس الحركة الوطنية، وعبر اليوسفي عن يقينه بأن هذه الأجيال الجديدة ستحسن صنع المستقبل مادامت مستوعبة لكل دروس وقيم ماضينا وحاضرنا قيم الوطنية والوفاء<sup>10</sup>.

#### - رسالة جلالة الملك لليوسفي بمناسبة إصدار مذكراته

من أبرز نماذج الاحتفاء التي حظيت بها مذكرات اليوسفي، الرسالة الخاصة بخط اليد التي وجهها جلالة الملك محمد السادس نصره الله لليوسفي، ومما جاء في الرسالة الملكية: تلقينا ببالغ الترحيب والاهتمام إهداءك لجنابنا الشريف نسخة من سيرتك الذاتية والسياسية الثلاثية الأجزاء... والتي ولاشك أنها ستثري الخزانة الوطنية المغربية، كمرجع للباحثين والدارسين لفترة هامة من تاريخ المغرب الحديث. وأضاف جلالاته وإننا لنشكرك جزيل الشكر على هذه المبادرة الطيبة مثنين هذا العمل الوثيقي الذي يخلد لمحطات تاريخية بارزة في مسارك النضالي، والحقوق، والسياسي المتميز، والمفعم لما هو مشهود لك من غيرة وطنية صادقة ووفاء راسخ لثوابت الأمة ومقدساتها<sup>11</sup>.

#### - السياق التاريخي لثورة الملك والشعب

قبل التطرق لثورة الملك والشعب ينبغي الإشارة إلى السياق التاريخي، والأحداث التي عرفها المغرب، والتي مهدت لاندلاع هذه الثورة وقد ورد الحديث عنها في ثنايا سيرة اليوسفي.

- زيارة محمد الخامس لطنجة 1947م: يستهل اليوسفي الحديث عن الزيارة قائلا: بادرت إلى تأسيس أول فرع لحزب الاستقلال بمدينة طنجة، ويرجع الفضل لهذا الفرع في تنظيم الزيارة الملكية التي قام بها السلطان محمد بن يوسف طيب الله ثراه في أبريل 1947م لهذه المدينة، وستشكل هذه الزيارة

9 - عباس الجراري: مع المعاصرين: أساء وآثار في الذاكرة والقلب، الرباط 1995م، ج الأول ص 121.

10 - Maroc.ma

11 - Akhbarona.com



منعطفًا أساسيًا في تاريخ المغرب، ومنعرجًا هامًا في مسيرة النضال الوطني، والإعلان أمام المحافل الدولية أن المغرب متمسك بوحدته الوطنية<sup>12</sup>. وعن زيارة طنجة يقول عبد الرحيم بوعبيد في مذكراته: زيارة طنجة يقول عنها الجنرال جوان، بأنها مفتاح لاستجلاء حقيقة ما كان يجري من تغيرات طرأت على سلوك سيدي محمد بن يوسف بعد الحرب العالمية الثانية<sup>13</sup>.

- خطاب العرش لسنة 1952م: شكل خطاب العرش لسنة 1952م الذي صادف مرور ربع قرن على جلوس محمد الخامس طيب الله ثراه على عرش أسلافه، نقطة تحول في علاقات محمد الخامس مع سلطات الاستعمار، فانتقد الحماية انتقادًا مرًا، وشبهها تشبيهًا لا يخلو من سخرية. وأمام هذا الموقف للعاهل المناضل الذي أصبح في طليعة القيادة الوطنية المناوئة للاستعمار، بدأت الإدارة الفرنسية تخطط لتنفيذ مؤامرة عزل محمد الخامس<sup>14</sup>.

#### - نفي السلطان والانخراط في المقاومة

يوصل اليوسفي سرده الكرونولوجي للأحداث التي عاشها بعد نفي محمد بن يوسف وعائلته في 20 غشت 1953م، قررت الخلايا الأولى للمقاومة الرد على عملية النفي بالقوة، وأصبح من الضروري التوفر في مختلف أنحاء المغرب على العتاد والأسلحة لمواجهة سلطات الاحتلال، هكذا تطور عملنا، وأصبح بإمكاننا إرسال برقيات مشفرة، عجزت سلطات الاحتلال عن التعرف على محتوياتها وفك شفراتها<sup>15</sup>.

وقد أجمعت كل الدراسات التي أرخت للتاريخ المغربي على الربط بين نفي محمد الخامس وظهور الكفاح المسلح فلم يعد بعد نفي رمز السيادة الوطنية أي مبرر لكبح جماح الشعب، حيث أضحي من المتعين والمفروض على كل مغربي، القيام بواجبه الوطني والديني.

ويربط الأستاذ إبراهيم بوطالب بين نفي جلالته محمد الخامس وظهور الكفاح المسلح قائلاً: بمجرد ما أقدمت سلطات الحماية على المس برمز الأمة وعنوان وحدتها وعزلت سيدي محمد بن

12 - عبد الرحمن اليوسفي، أحاديث في ما جرى، مرجع سابق ج 1 ص 56

13 - عبد الرحيم بوعبيد: مذكرات بوعبيد، محمد الخامس والأمير مولاي الحسن إعداد عبد اللطيف جبرو. دار أبي رقراق 2012م، ص 60

14 - زكي مبارك: المقاومة المغربية وجيش التحرير في مدخل إلى تاريخ المغرب الحديث من عصر الحسن الأول إلى عصر جلالته الملك الحسن الثاني، إشراف وإعداد الأستاذ عبد الحق الميرني، وزارة الشؤون الثقافية 1996م، ص 219.

15 - عبد الرحمن اليوسفي، مرجع سابق، ص 65.

يوسف عن العرش قام الشعب كله ليناضل وليقاوم<sup>16</sup>. وهذا ما أكدته المغفور له الحسن الثاني قدس الله روحه في كتابه التحدي، وما أن مرت فترة الذهول الأولى حتى شرع الشعب المغربي يخوض صراعا لا هوادة فيه اكتسب صبغة اضطرابات جارفة، كان من مظاهرها الأولى أن اندفع علال بن عبد الله بشجاعة خارقة في هجوم قام به على ابن عرفة، وكان هذا الحادث بمثابة مؤشر لانطلاق حركة عنيفة نابعة من وطنية قادتها نخبة من الشباب المغربي<sup>17</sup> يومها كتب فرانسوا موريك يقول: إن الذي يهم أن نعرفه ونذكره هو ما كان يمثله سيدي محمد بن يوسف في أعين شعبه، لقد كان الرئيس الديني من جهة والمجسد الحي من جهة ثانية لآمال الشباب المتعلم وآمال البرولتاريا في مدن المغرب، ولم يكن في أي يوم من الأيام أقوى مما هو عليه اليوم<sup>18</sup>.

وقد ارتبطت المقاومة باسم الملك، فمحمد الخامس أكرم الله مثواه لم يكن متحزبا ومع ذلك توجهت كل الأحزاب الوطنية قائدا لها، كما أنه لم يدع إلى العنف ومع ذلك اندلعت المقاومة باسمه، كما يدل على ذلك بلاغ المقاومة التي أعلنت فيه أنها لن تضع السلاح إلا إذا اعترفت فرنسا رسميا باستقلال المغرب تحت سلطة قائدها محمد بن يوسف فالمقاومة المسلحة ظلت من نشأتها إلى الاستقلال مرتبطة باسم الملك<sup>19</sup>.

ويواصل اليوسفي الحديث عن المقاومة في الشمال قائلا: كان يتواجد في مدينة تطوان مجموعة من قادة المقاومة أذكر من بينهم سعيد بونعيلات، عباس المسعدي، عبد الله الصنهاجي، حسن صفي الدين، الغالي العراقي، والدكتور عبد الكريم الخطيب، وكانوا يشرفون على تزويد تنظيمات باقي خلايا المقاومة في كل أنحاء المغرب بما تحتاجه لاستمرار شعلة الكفاح الوطني وشكلوا قاعدة خلفية لذلك الكفاح ضد القمع والتصفيات الشرسة التي ووجهت بها من طرف قوات الاحتلال، كما يبرز اليوسفي دوره في التنسيق بين الداخل والخارج قائلا: كنت أنا والمهدي بن عبود نتولى التنسيق مع باقي القيادات سواء في الداخل أو على مستوى الخارج بالقاهرة، مدريد، باريس وغيرها كما كنا نحرص على الإشراف على الحملات الإعلامية، والسهر على نشر أخبار المقاومة ومواجهة الإعلام

16 - زكي مبارك، مرجع سابق، ص 230

17 - التحدي: الحسن الثاني ملك المغرب

18 - التحدي، مرجع سابق، ص 95.

19 - عبد القادر البنة: حزب الاستقلال واندلاع المقاومة المسلحة، مجلة أبحاث، ع 39 شتاء 1997م، ص 47.

المضاد<sup>20</sup> وسيتبلور النشاط الإعلامي للمقاومة، فقد تزايد اهتمام الجامعة العربية بالقضية المغربية بعد نفي المغفور له محمد الخامس، حيث اجتمع مجلسها وأصدر بياناً نص على "أن الجامعة العربية التي تعتبر القضية المغربية قضية عربية تهدف إلى استقلال وحرية المغرب، تستنكر أشد استنكار هذا العدوان على السيادة المغربية، كما تعلن بأنها لا تعترف بأي حال من الأحوال بالأوضاع غير الشرعية التي فرضتها السلطات الفرنسية في مراكش<sup>21</sup>. كما امتد الدعم العربي للمقاومة وجيش التحرير المغربي إلى المجال الإعلامي انطلاقاً من إذاعة صوت العرب بالقاهرة.

ويقول المقاوم الهاشمي الطود في مذكراته عن خبر نفي محمد الخامس، "وأمام جسامته هذا الاعتداء الإجرامي بقينا مشدوهين لفترة قصيرة ساد خلالها صمت رهيب لم يكسر رتابته إلا تدخل سيدي محمد الخطابي، ثم نقاشاتنا الجماعية التي انتهت إلى اعتبار نفي السلطان الشرعي للمغرب استفزازاً استعماريًا لكل المغاربة لا بد من الرد عليه بالطرق الملائمة وستكون الطرق الملائمة اندلاع حركات المقاومة المسلحة"<sup>22</sup>.

ومن الأكيد أن آخر تبريرات دعاة العمل السياسي قد تبخرت مع خلع محمد الخامس، فقد جعلت إدارة الحماية بعملها هذا اختيار العنف أكثر إقناعاً وأكثر مشروعية<sup>23</sup>.

فقد كانت الفكرة السائدة المسيطرة غداة 20 غشت فكرة ثورية، هدفها تحرير البلاد وتكسير القيود بعنف وصلابة وقوة، وبقدر ما كانت الصدمة فجائية (نفي محمد الخامس) بقدر ما اتجه الكفاح نحو المطلب المهم المتمثل في الاعتراف بالاستقلال، وإعادة الملك إلى عرشه، وركزت المقاومة المغربية كل جهدها وجند الشعب كل إمكانياته في سبيل هذا المطلب<sup>24</sup>. وقد برهنت الأحداث سريعاً على أن خلع الملك محمد الخامس كان خطأ فاحشاً، فقد تطلع الشعب كله إلى الملك وعائلته على أنهم رمز لحركة التحرير، ودعت جميع الهيئات الوطنية الشعب إلى الثورة ضد الفرنسيين<sup>25</sup>.

20 - اليوسفي: أحاديث في ما جرى، مرجع سابق، ص 67.

21 - علي كريمي: البعد العربي للمقاومة المسلحة المغربية، مجلة أبحاث، مرجع سابق، ص 70.

22 - الهاشمي الطود: خيار الكفاح المسلح، حوار سيرة ذاتية، إعداد أسامة الزكاري، ط الأولى يناير 2018م، ص 233.

23 - أحمد خشيشن وجمال الناجي: مذكرات من التراث المغربي، إشراف العربي الصقلي، ج 7 ص 14.

24 - الجابري: مواقف إضاعات وشهادات، ع 2002، ص 60.

25 - رولف إيتلندر: عشرة رجال من إفريقية، ترجمة أحمد عبد القادر دات، ص 80.



## - ثورة الملك والشعب في سيرة عبد الرحمان اليوسفي

بعد القرار الخاطيء لباريس بنفي الملك الوطني محمد الخامس طيب الله ثراه يوم 20 غشت 1953م ولد عمليا عبد الرحمان اليوسفي الآخر، هو المقاوم المحارب الشرس والذكي، أصبح الرجل بمثابة غرفة عمليات متنقلة بكل معاني الكلمة تكمن قوته في أنه رجل فعل ميداني مسنود بمعرفة أكاديمية عالية، خلال هذه المرحلة من حياته أصبح واحدا من أهم منسقي حركة المقاومة وجيش التحرير المغربي<sup>26</sup>.

## - كيف جاء اسم ثورة الملك والشعب؟

يوضح لنا اليوسفي بتفصيل ربما لأول مرة كيف ظهرت تسمية ثورة الملك والشعب قائلا: تم إنشاء المجلس الوطني للمقاومة غداة الاستقلال، وكان المرحوم الفقيه محمد البصري من أنشط عناصر هذا المجلس، مما سيؤهله لأن يصبح رئيسا له، ومن ضمن أهم القرارات التي اتخذها المجلس الوطني للمقاومة قرار تخليد ذكرى 20 غشت 1953م، التي أقدمت فيه سلطة الاحتلال على نفي الملك محمد الخامس وعائلته، واقتراح إطلاق يوم المقاومة على هذه الذكرى، وتقرر عقد لقاء مع الملك محمد الخامس طيب الله ثراه للتداول في هذا الاقتراح. وهكذا تكون وفد يضم محمد البصري، والدكتور عبد اللطيف بنجلون، وحسن الأعرج، والدكتور عبد الكريم الخطيب، وعبد ربه، وعند إخبار جلالة الملك بالاقتراح تردد قليلا وطلب البحث عن اسم آخر بديل يتناسب مع الحدث، وبدبلوماسيته المعهودة التقط الدكتور عبد اللطيف بنجلون الإشارة واقترح على جلالة الملك، أن يطلق على هذه المناسبة اسم ثورة الملك والشعب، فبارك الملك هذا الاقتراح.

ويواصل اليوسفي الحديث عن الموضوع... خلال هذا اللقاء ثم وضع بروتوكول كامل لتصوير الحفل الذي سيقام تخليدا لهذه الذكرى، وتم الاتفاق على ما يلي:

أولا أن يكون مكان تخليد هذه الذكرى هو المشور، وبالضبط المكان الذي استشهد فيه الشهيد علال بن عبد الله يوم 11 دجنبر 1953م.

ثانيا أن يتم نصب منصة في هذا المكان يجلس فيها الملك محمد الخامس وحده، بينما يقف أعضاء المجلس الوطني للمقاومة، ويقوم رئيس هذا المجلس بإلقاء كلمة بالمناسبة.

ثالثا أن تقدم هدية رمزية للأميرة للا أمينة التي ولدت في المنفى، حيث لاحظ العديد من المقاومين أن الملك محمد الخامس ترافقه باستمرار الأميرة الصغيرة.

وقد تولى أحد المقاومين الإشراف على تحضير هدية وهي عبارة عن سلسلة ذهبية يتوسطها مسدس ذهبي صغير، وفي يوم الاحتفال توليت أنا وضع هذا العقد في عنق الأميرة. كما ألقى الفقيه محمد البصري كلمة باسم المجلس الوطني للمقاومة<sup>27</sup>.

وقد اختلط الأمر على الدكتور الخطيب فنسب اقتراح اسم ثورة الملك والشعب لليوسفي، يقول الخطيب وقد اجتمعنا مع جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه واتفقنا على تسمية هذا اليوم بثورة الملك والشعب وكان حاضرا في هذا الاجتماع الفقيه البصري، وعبد اللطيف بنجلون، وعبد الرحمان اليوسفي الذي اقترح الاسم<sup>28</sup>.

### - الذكرى الخمسون لانتفاضة 20 غشت 1953م

في مهرجان الوطني لتخليد الذكرى 20 غشت بمدينة خريبكة ألقى اليوسفي كلمة معبرة عن دلالات الذكرى استهلها بالتذكير عن كيفية الاحتفاء بها قائلا : صحيح أن شعبنا بدأ يحتفل بثورة الملك والشعب بصفة رسمية في 20 غشت 1956م بعد عودة الملك الشرعي وإعلان الاستقلال، وكان ذلك بمبادرة من المجلس الوطني للمقاومة وجيش التحرير.

إن جماهيرنا انتفضت في خنيفرة، وتادلة، وبني ملال، وأبي الجعد، ووادي زم، وخريبكة، والدار البيضاء، والجديدة، وآسفي، والرباط، وسيدي قاسم، والخميسات. لقد فوجئت السلطات الاستعمارية بتلقائية وحماسة الفلاحين الزاحفين من الجبال والسهول وبخروج العمال من مناجمهم ومصانعهم، واستغربت من المشاركة القوية للنساء والشباب والأطفال، في كل المظاهرات، التي تميزت أيضا بكثافة الأعلام المغربية والصور الملكية، وبوحدة الشعارات والهتافات في مجموع البلاد، كما اندهشت من الشجاعة النادرة التي كان المتظاهرون والمتظاهرات يواجهون بها كل أنواع أسلحة القمع الفتاكة بما فيها سلاح الطيران<sup>29</sup>.

فإذا كانت الحصيلة الرسمية تتحدث عن سبعائة من القتلى، فإن شارل أندري جوليان يؤكد أن هذا الرقم قد أثار سخرية الشخصيات الأكثر اطلاعا على الأمر.

27 - اليوسفي: أحاديث في ما جرى، ص 75 - 76.

28 - الدكتور عبد الكريم الخطيب: مسار حياة.

29 - اليوسفي: أحاديث في ما جرى، ص 283.

ويشير الأستاذ إلى أن العدد الإجمالي للعمليات التي قامت بها المقاومة المغربية بلغت 4520 عملية في الفترة ما بين 20 غشت 1953 و 6 أفريل 1956م<sup>30</sup>. وواصل الأستاذ اليوسفي حديثه للجماهير المحتفلة بالذكرى بالقول : تلکم أمثلة مقتضبة من الملحمة الشائخة التي عاشتها جماهيرنا يوم 20 غشت 1955م في إطار ثورة الملك والشعب، نأمل أن تساعدنا على تنوير من لا علم لهم بها، وبالأخص أجيالنا الصاعدة وشبابنا العزيز حتى يدرك الجميع نوعية الطغمة الاستعمارية التي كانت تواجهنا، ويقدر الثمن الباهض الذي دفعته شعوبنا في المغرب العربي للحصول على استقلالها<sup>31</sup>.

فالمحافظة على الذاكرة التاريخية للأمة أمر بالغ الأهمية في تحقيق التواصل بين الأجيال، وفي تثبيت معنى الانتماء الذي يحققه استحضار مراحل العمل الوطني<sup>32</sup>. وقد كان اليوسفي حريصا باستمرار على التذكير بالمناسبات الوطنية كما يروي المرحوم الجابري.

وفي يوم من أيام الأسبوع الأول من شهر نوفمبر 1959م عندما كنا الأخ اليوسفي وأنا نناقش القضايا المطروحة التي يجب الاهتمام بها، اقترح الأخ عبد الرحمان كتابه سلسلة من المقالات بمناسبة الأعياد الوطنية الثلاثة 16 نوفمبر 1955م يوم عودة محمد الخامس 17 نوفمبر عيد الاستقلال، 18 نوفمبر عيد العرش<sup>33</sup>.

وتحفل سيرة الأستاذ اليوسفي بالعديد من الإشارات لثورة الملك والشعب منها:

- في حفل تكريم أرواح شهداء سجن العاذر بمناسبة ذكرى 20 غشت

لقد مثلت ثورة الملك والشعب في مثل هذا اليوم من سنة 1953م، منعطفًا حاسمًا في مسيرة الكفاح الوطني من أجل الحرية والاستقلال، إنه يوم أراد الاستعمار لإخماد جذوة الروح الوطنية وفصل الملك عن شعبه، ولكنه كان يوما لانطلاق ثورة عارمة أعطى شرارتها بطل التحرير بمواقفه النضالية وروحه الجهادية، حينما تصدى لمناورات المستعمر رافضا مخططاته ومتحديا تهديداته، ففضل المنفى على أن يتنازل عن سيادة وطنه، فهب الشعب ثائرا مبادلا تضحية العرش بتضحية عمت البوادي والمدن. حيث استرخص المجاهدون النفس والنفيس من أجل عودة الشرعية وإعلان

30 - Mohammed Zad Résistance et Armée de libération au Maroc (1947 – 1956) Edité par le haut commissariat aux anciens Résistants 2006 p 192

31 - اليوسفي: أحاديث في ما جرى، ص 283

32 - أحمد كمال أبو المجد: شهادة في حق رائد الجهاد والبناء للمغرب الحديث جلالة الملك محمد الخامس، أكاديمية المملكة المغربية، 2004م، ص 286

33 - الجابري، مرجع سابق، ص 63



الاستقلال، وبذلك كانت ثورة الملك والشعب نقلة نوعية في الكفاح الذي خاضه المغرب قمة وقاعدة. إنها ملحمة غنية بالدروس والعبر حافلة بمواقف البطولة والصمود، ففي كل جهات المغرب اندلعت المقاومة لا ترضى بديلا بغير تحقيق إرادة العرش والشعب... واشتدت المقاومة وتعززت خلاياها وتنظيماتها وانطلقت المظاهرات الشعبية والانتفاضات العارمة التي واجهها الاستعمار مستنجدا بكل إمكاناته ووسائله ولكن بدون جدوى. وكان من الطبيعي أن ترتوي شجرة الحرية بدماء الشهداء الذين سقطوا فداءً وقربانا للحرية والاستقلال<sup>34</sup>.

إننا ونحن نستحضر هذه الرموز الخالدة، والقيم الشائخة، علينا أن نتذكر أيضا أولئك الأبطال الذين قاموا بعمليات استشهادية من أجل حماية أسرار ومخططات المقاومة. ويسترجع اليوسفي ذكرياته قائلا: "إن هذه المناسبة لتثير مشاعري، حيث تذكرني بالعرى الوطيدة والعلاقات المتينة، التي جمعتني ببعض من هذه الصفوة المؤمنة، التي صدقت ووفت ما عاهدت الله عليه، حينما كنا نؤسس للمقاومة ونضع لبناتها وأنويتها، لقد كانوا مثالا للشهامة والإباء والتضحية والفداء منحدرين من الشعب تنبض عروقهم بحب الوطن والدفاع عن مقدساته"<sup>35</sup>.

### - البعد المغاربي والإفريقي لثورة الملك والشعب

ربط اليوسفي في كلمته بالمهرجان الوطني لتخليد ذكرى 20 غشت بمدينة خريبكة بوحدة النضال بين الشعب المغربي والجزائري، وجاءت كلمته تحت عنوان 20 غشت 1953م ذكرى ذات أبعاد وطنية ومغربية.

لقد اكتسى هذا الإحياء شكل انتفاضات شعبية في المدن والبوادي المغربية، ومظاهرات جماهيرية في الحواضر والمراكز الجزائرية. مما نتج عنه معركة تضامنية عارمة دفعت بحركة التحرير الوطني في أقطار المغرب العربي إلى الأمام، وحولت مجرى التاريخ بالنسبة لمصير الاستعمار في منطقتنا.

تقول بعض الشهادات الفرنسية إن الجزائر عرفت في ذلك اليوم مظاهرات شعبية صاخبة في أكثر من 30 مدينة ومركزا استشهد أثناءها عشرات الآلاف من المتظاهرين وأن الرقم القياسي لضحايا القمع سجلته مدينته سكيكدة الشهيدة<sup>36</sup>.

34 - اليوسفي: أحاديث فيما جرى، ص 325 - 326

35 - اليوسفي: أحاديث في ما جرى، ص 328

36 - اليوسفي: أحاديث في ماجرى، ص 282

وفي أحد الاجتماعات التمهيدية لانتفاضة الشمال القسنطيني يوضح زيغود يوسف قائد الانتفاضة لمساعديه الأخضر بن طوبال وابن عودة أن الانتفاضة يجب أن تكون في إطار الشمال الإفريقي، السلطان في المنفى. عملياتنا يجب أن تعتبر دعماً للمغرب<sup>37</sup>.

ويشير محمد باهي أن فكرة القيام بانتفاضة مشتركة بين المغرب والجزائر كانت موضوع نقاش بين خمسة مسؤولين مغاربة عبد الرحمان اليوسفي، عبد الكبير الفاسي، عبد الكريم الخطيب من الجانب المغربي، أحمد بن بلة، محمد بوضياف من الجانب الجزائري.

ويؤكد هذا الموقف الدكتور الخطيب، 20 غشت هذا اليوم يحمل مكانة خاصة لدى دول شمال إفريقيا كلها في الجزائر يحتفلون في 20 غشت بذكرى يوم المجاهد، فباتفاق بين جيش التحرير المغربي وجبهة التحرير الجزائرية اندلعت معارك ضارية ضد الاستعمار الفرنسي، استشهد فيها الآلاف في سبيل محمد بن يوسف<sup>38</sup>.

#### - البعد الإفريقي لثورة الملك والشعب

لقد أحدثت هذه الثورة تحولا كبيرا في مسيرة الجهاد الذي اشتهر به المغاربة على مر الحقب والعهود، بل لقد كان لهذا التحول انعكاسه على حركات التحرر في غير قليل من الأقطار العربية والإفريقية التي تجاوبت معها ورأت فيها النموذج والقدوة<sup>39</sup>.

ويقول الأستاذ أحمد عصمان، مكنني القرب من محمد الخامس طيب الله ثراه، أن أشهد انشغاله الكبير بقضايا كل الشعوب المستعمرة، ولم يكن اهتمامه منكبا على المغرب فحسب، بل كان يعتبر أن معركة استقلال المغرب جزء غير منفصل من معركة تحرر كل شعوب العالم وضمنها الشعوب الإفريقية<sup>40</sup>.

وفي التاريخ المعاصر سنرى أن ثورة الملك والشعب التي أشعل شرارتها الأولى جلاله المغفور له محمد الخامس يوم 20 غشت سنة 1953م، كانت في بعد من أبعادها وفي معنى من معانيها، ثورة إفريقية، بل كانت رائدة الثورات التحررية في القارة الإفريقية.

37 - Mohammed zad Résistance et Armée de liberation P 208.

38 - الدكتور الخطيب: مسار حياة

39 - عباس الجارري: ثورة الملك والشعب أسباب الإجماع وضرورة استمرارية الذكرى الخمسون لثورة الملك والشعب، منشورات الأكاديمية المغربية، 2004م، ص 141.

40 - أحمد عصمان: محمد الخامس وحركات التحرر الإفريقية، في: جلاله المغفور له محمد الخامس: كفاح من أجل الاستقلال ودعم لحركات التحرر الإفريقية، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين، الرباط 2006م، ص 81.

ولعل أحسن ما يعبر عن البعد المغاربي والإفريقي لثورة الملك والشعب الخطاب الملكي بمناسبة الذكرى الرابعة والستين لثورة الملك والشعب سنة 2017م: "إن ثورة الملك والشعب أكثر من ملحمة وطنية خالدة، جمعت ملكا مجاهدا، وشعبا مناضلا من أجل استقلال المغرب وعودة ملكه الشرعي، فهي محطة مشرقة في تاريخ المغرب، تجاوز إشعاعها وتأثيرها حدود الوطن ليصل إلى أعماق إفريقيا، فقد ألهمت بشكلها الشعبي التلقائي، وبقيم التضحية والوفاء التي قامت عليها حركات التحرر بالمغرب الكبير وإفريقيا من شمالها إلى جنوبها، كما عمقت الوعي والإيمان بوحدة المصير بين المغرب وقارته..."<sup>41</sup>.

---

41- Menara. Ma 20/08/2017



## المدرسة المالكية المغربية وامتداداتها الإفريقية

د. عبد الله بن إدريس أبو بكر ميغا  
من علماء النيجر.

الحمد لله الذي جعل الفقه في الدين من أعظم العلوم قدرا، وأشرفها أمرا وأكثرها أجرا، والصلاة والسلام على صاحب الرسالة العظمى، خاتمة الرسالات، سيدنا ونبينا محمد، أشرف المرسلين وخاتم النبيين، ورحمة الله للعالمين، ورضي الله عن آله وصحبه، حفاظ الدين، وحملة شريعته، الذين طووا بساط الجهل ببث العلم والتدوين، ورحم الله الأئمة والفقهاء، وسائر علماء الإسلام العاملين المخلصين، الذين تواردوا على منصة خدمة الفقه الإسلامي وشريعته الغراء على مرّ العصور والأزمنة.

وبعد: فهذا البحث محاولة لكشف الثام عن جوانب مهمة ومحطات مشرقة من تاريخ المدرسة المالكية الفقهية المغربية الإفريقية، والتعرف على دور الفقهاء المغاربة والأفارقة في نشر هذا المذهب وتوطيد أركانه في ربوع غرب إفريقيا وذلك من خلال عدة محاور.

المحور الأول: مكانة الفقه الإسلامي ومنزلته بين علوم الشريعة ونبذة مختصرة عن مدارسه

أ- مكانة الفقه الإسلامي ومنزلته بين علوم الشريعة:

لقد كان الفقه الإسلامي - وما يزال - من أهم الأسس والعوامل التي أسهمت في بناء الأمة الإسلامية، وتكوين حضارتها، واتساع عمرانها، وامتداد سلطانها، لأنه فقه يقوم على العدالة، ويشرع الحقوق ويصونها، ويكفل الحرية ويلائم الفطر السليمة، ويزيل الفوارق، ويسير التطور، ويمسك بالأصول والقواعد العادلة.

وذلك لأنه مستمد من شرع لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم علیم، وإرشاد من رسول أمين، لا ينطق عن الهوى، ولا يجحد عن الحق، فجاء ثابت القواعد، راسخ الأساس، سليم المبادئ، صحيح النتائج، متفقا مع الأعراف الصحيحة، والعادات الحسنة، والأخلاق الكريمة، يهدي إلى الإصلاح، ويدعو إلى السمو، وينأى بجانبه عن الركود والقعود.

والعلم الشرعي أشرف العلوم وأفضلها على الإطلاق، لما له من نفع على المرء في خاصة نفسه، وعامة إخوانه المسلمين، به يعبد الله - جلا وعلا - وفق ما شرع الله، وتقام الشريعة، وتصان وتؤمن من النقص والخلل والزيادة والإحداث.

والفقه بأحكام الدين وشرائع الإسلام يحتل المكانة العظمى بين علوم الشريعة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ خَاصَّةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>1</sup>، وقال المصطفى - عليه الصلاة والسلام: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»<sup>2</sup>. وكان للفقه الإسلامي مكانته الخاصة، وأهميته الكبيرة في المجتمع الإسلامي، من حيث إنه العامل الأساسي في إظهار سلوكياتنا الاجتماعية في حياتنا العلمية والعملية، على مرّ الأزمنة وتعاقب العصور.

وهو - الفقه الإسلامي - نظام عام للمجتمع البشري بصفة عامة: فيه توضيح لعلاقة الإنسان بخالقه، وعلاقته مع بني جلدته، وعلاقة المجتمعات المختلفة ببعضها، بل فيه توضيح لعلاقة الإنسان بنفسه، وعلاقته بالزمان والمكان والأشياء من حوله<sup>3</sup>.

بدأ الفقه الإسلامي يأخذ مجراه نحو التطور في عهد الخلفاء الراشدين، ثم ازدهر بشكل كبير في العصر العباسي الأول، بفضل جهود الفقهاء والأئمة المجتهدين، إذ كانت الحواضر الإسلامية مراكز للفقه الإسلامي، وأصبحت في كل عاصمة منارة فقهية لإمام مجتهد معروف، أو أكثر من إمام، مدون مذهبه، مقلدة آراؤه، معترف له بالإمامة والزعامة.

وهكذا نجد أنّ هذا العصر أنجب ثلاثة عشر مجتهدا، دونت مذاهبهم، وقلدت آراؤهم، في مختلف الأمصار الإسلامية، لكن لم يكتب البقاء، والخلود إلا لأربعة مذاهب، وهي: المذهب الحنفي، والمذهب المالكي، والمذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي<sup>4</sup>.

1 - سورة التوبة، الآية 123.

2 - الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة، ج3، ص94.

3 - ينظر: المستشار علي منصور، المدخل للعلوم القانونية والفقه الإسلامي مقارنة بين الشريعة والقانون، ص139 وما بعدها، ط1 عام 1386هـ/1966م القاهرة.

4 - يراجع الحجوي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، وأبو زهرة، تاريخ المذاهب الفقهية، 221/11، دار الفكر العربي، القاهرة. ومحمد بن مخلوف شجرة النور الزكية، القاهرة، 1349هـ.

وهذه المذاهب الأربعة هي المذاهب الفقهية السنية الباقية حتى اليوم، والتي حظيت بالاهتمام من بين باقي المذاهب الفقهية التي اندرست على مرّ الأيام، إذ دَوّنت، وأُصِّلَتْ أُسُسُهَا، وقُعدَتْ آراءُ علمائها ووضعت لها الضوابط والمعايير التي تبيّن المعتمد منها.

### ب- نبذة تعريفية عن المذاهب الفقهية السنية:

كان لاتساع رقعة الدولة الإسلامية، وامتزاج الحضارات العريقة التي كانت سائدة في بلاد العراق والشام ومصر وفارس بحضارة الإسلام أن عرضت للناس وقائع جديدة تستدعي وضع بعض التشريعات في المعاملات والحلال والحرام، وكان لابد للفقهاء من الاجتهاد، ممّا أدّى إلى ظهور مدارس ومذاهب فقهية كبيرة.

ومن العوامل التي ساعدت على تكوين هذه المذاهب الفقهية جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق، ثم تدوين السنة النبوية في عهد عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - وبعد ذلك اهتم المسلمون بجمع فقه الصحابة وفتاوى التابعين، بالإضافة إلى تشجيع الخلفاء للحركة الفقهية ومؤازرتهم للعلماء، وعنايتهم بمجالس البحث والنظر، ورغبة الكثير منهم في النقاش العلمي الهادف. وفيما يلي عرض لأشهر المدارس الفقهية الأربعة الباقية:

**1 - المذهب الحنفي:** المنسوب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زُوَطَى بن ماه التميمي الكوفي، إمام الملة، وفقه الأمة (ت: 150هـ). فقد انتشر في العراق، ودخل مصر والروم وبلخ وبخارى، وفرغانة، وطشقند، وخبوي، وخوارزم، وبلاد فارس، وأكثر بلاد الهند، والسند، وبعض بلاد اليمن وغيرها، ولما كانت دولة الأتراك العثمانيين كان مذهب الدولة.

والحنفية اليوم يوجدون بقلة في شمال إفريقيا، وأكثرهم بتونس، وأكثرهم من بقايا الأسر التركية، ويكاد يكون نصف أهل الشام اليوم من الحنفية، وكانوا قلة بفلسطين، وهم الأكثرون من الأتراك العثمانيين، والألبان، وسكان بلاد البلقان، وهم قليلون في بلاد فارس، وهم الأكثرون في تركستان الغربية والشرقية، وبلاد القوقاز....، والكثرة الساحقة من مسلمي باكستان هم الحنفية، وهم الأقلون في سيام، نزحوا إليها من الهند، وفي البرازيل نحو 25 ألف حنفي.

**2 - المذهب المالكي:** وهو ثاني المذاهب الإسلامية المعتمدة في الفقه الإسلامي من حيث الترتيب الزمني، ونسب إلى عالم المدينة وإمام دار الهجرة، أبو عبد الله مالك بن أنس بن عامر بن



عمرو بن حارث (ت: 179هـ). وهو أصح المذاهب وأعدلها في العقيدة والأحكام، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "مذهب أهل المدينة النبوية دار السنة، ودار الهجرة، ودار النصر؛ إذ فيها سنّ الله ورسوله محمدٌ صلى الله عليه وسلم سنن الإسلام، وشرائعه، وإليها هاجر المسلمون إلى الله ورسوله، وبها كان الأنصار الذين تبوّؤوا الدار والإيمان، مذهبهم في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أصحّ مذاهب أهل المذاهب الإسلامية شرقاً وغرباً، في الأصول والفروع"<sup>5</sup>.

نشأ مذهب مالك بالمدينة المنورة، وأدخله بمصر عبد الرحمن بن خالد وعثمان بن الحكم، ونشراه بها، هما وعبد الرحمن بن القاسم، ثم زاحمه مذهب الشافعي بها، وانتشر في أوائل القرن الخامس بإفريقيا وسائر بلاد المغرب، كما دخل الأندلس في عهد هشام وتغلب هناك.

وكان في القرن الرابع بالعراق وبالأهواز، وهو اليوم هو السائد في بلاد المغرب، أي شمال إفريقيا، وفي السودان وفي صعيد مصر، وينافسه المذهب الشافعي في المدن وفي بلاد الوجه البحري، ويغلب في قطر وفي البحرين والكويت، كما يوجد في بعض مدن الحجاز.

**3- المذهب الشافعي:** المنسوب إلى أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع (204 هـ)، ويلتقي نسبه برسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف.

ومذهب الشافعي ظهر بمصر وبالعراق، وغلب على بغداد وكثير من بلاد خراسان والشام واليمن، ودخل بلاد ما وراء النهر، وبلاد فارس، والحجاز، وبعض بلاد الهند، ودخل شيء منه في إفريقيا والأندلس، وله المرتبة الثانية بعد مذهب أبي حنيفة في العراق، ويغلب في بلاد الأكراد، وبلاد أرمينية، وأكثر السنين من أهل فارس شافعية، ومنهم أقلية في القوقاز، والهند، ويغلب في جاوة وسيلان والفلبين وسيام والهند الصينية، وأستراليا والحجاز واليمن وعدن وحضر موت.

**4- المذهب الحنبلي:** وهو رابع المذاهب الأربعة المعتبرة عند جمهور المسلمين من حيث النشأة والظهور، المنسوب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت: 241 هـ).

ظهر مذهب الحنابلة ببغداد، ومقلدوه منذ ظهوره كانوا قليلين، وكان أكثرهم بالعراق والشام، ولم يسمع بأنه كان له تغلب إلا ببغداد حوالي 323 هجرية، حيث استفحل أمرهم، وكانت منهم بتلك السنة فتنة الأمر بالمعروف، وكانت لهم فتنة مع الشافعية أيضاً.

5 - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، بدون تاريخ الطباعة والنشر، 294/20.

ويغلب هذا المذهب اليوم على أهل نجد، وأتباعه نحو ربع أهل السنة بالشام، ويوجد بعضهم بالأفغان والحجاز وقطر والبحرين<sup>6</sup>.

### المحور الثاني: المدرسة المالكية الفقهية المغربية السودانية.

إن كلمة المذهب لم تكن معروفة في زمن الأئمة بمن فيهم الإمام مالك بمفهومها الحالي، ولم تحدث إلا بعد القرن الرابع الهجري، لما دعت الظروف إلى الالتزام بمنهاج معين في الفقه والتشريع، فكان الإمام مالك وغيره من الأئمة يرون أنهم ينشرون علم السنة وفقه الصحابة والتابعين... فمالك لم يأت بشيء جديد من عنده، وإنما هو مفسر لما فهم من الأصلين (الكتاب والسنة) وأقوال الصحابة والتابعين، وما وجد عليه أهل المدينة، وخير دليل على ذلك قوله في كثير من الأماكن في موطئه: "الأمر المجمع عليه، أو الأمر ببلدنا، أو عندنا، أو أدركت عليه أهل العلم..."<sup>7</sup> وغير ذلك من العبارات التي تدل على أنه لم يبدع شيئاً من عنده، بل من أقوال الصحابة والتابعين، وما وجد عليه أهل المدينة، إضافة إلى ما فهمه من الكتاب والسنة.

وأكثر من هذا كان الإمام مالك يوصي طلابه ومستفتيه بأن ينظروا في كلامه، فما وافق الكتاب والسنة أخذوا به، ويقول: "ما من أحد إلا وهو مأخوذ من كلامه، ومردود عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم..."<sup>8</sup>، وعلى هذا فانتساب المذهب إلى الإمام مالك لا يعدو أن يكون تسامحاً أو تجاوزاً<sup>9</sup>.

بدأ المذهب المالكي، أو بالأحرى المذهب الذي ينتمي إليه الإمام مالك، وهو مذهب الصحابة والتابعين وأهل السنة ينتشر منذ أواسط القرن الثاني الهجري في العالم الإسلامي عامة والغرب الإسلامي خاصة، واستمر في الانتشار بعد القرن الثاني، إلى أن وصل إلى السودان الغربي مع منتصف القرن الخامس الهجري، وتوطدت أركانه ودعائمه فيه، وبذلك "... غلب مذهب مالك على الحجاز، والمغرب الأقصى إلى بلاد من أسلم من السودان..."

6 - الحجوي، مرجع سابق.

7 - ينظر: موطأ الإمام مالك.

8 - يراجع: الأستاذ عمر الجديدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ص 9-10-54-55، ط 1 عام 1993م، مطبعة المعارف الجديدة؛ ود. أحمد الريسوني: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ص 57-63، ط 1، عام 1990م.

9 - القاضي عياض: ترتيب المدارك، تحقيق وتعليق محمد بن تاويت الطنجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1995م، الرباط، ج 1، ص 65.

وقبل أن يصل المذهب المالكي إلى السودان في القرن الخامس الهجري، عانى كثيرا، وامتحن رجاله في الغرب الإسلامي، ونكل بهم، وأذيقوا ألوان العذاب، وشنت عليهم حرب لا هوادة فيها، وكان ذلك في عهد الأغالة والفاطميين بتونس، وعهد الموحدين بالمغرب<sup>10</sup>.

وبقي العلماء والمذهب المالكي في محنة شديدة، إلى أن وصل المرابطون إلى الحكم خلال القرن الخامس الهجري فانتصروا للمذهب المالكي، وكان ذلك أهم حدث تاريخي لانتصار المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، فمنذ هذا التاريخ، والمذهب المالكي في انتشار مستمر وأصبح المذهب الرسمي للدولة المرابطية، وبات الغرب الإسلامي، بما فيه السودان الغربي المعقل الرسمي له، حتى قال ابن خلدون: "... وأما مالك - رحمه الله تعالى - فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا القليل..."<sup>11</sup>.

وهكذا أصبح القرن الخامس الذي انتصر فيه المذهب المالكي انتصارا ساحقا في الغرب الإسلامي، بعد صمود طويل، ولم يزاحمه أي مذهب من المذاهب في الغرب الإسلامي حتى يومنا هذا. فكثرت أتباعه في العالم الإسلامي، وفي الغرب منه على الخصوص، وحظي بمساندة العامة والخاصة، وأضحى المذهب الذي لا يبغى الناس عنه بديلا.

وتعالت صيحات التنويه به من طرف العلماء والملوك في الغرب الإسلامي، وكان ذلك إعلانا صريحا بالانتصار النهائي للمذهب المالكي واعتباره المذهب الرسمي للدول المتعاقبة منذ تلك الفترة إلى الآن، وأصبح جميع الناس ملزمين باتباعه.

ومن الملوك الذين نوهوا بالمذهب المالكي الحكم المستنصر ملك الأندلس، الذي قال: "نظرنا طويلا في أخبار الفقهاء، وقرأنا ما صنف من أخبارهم إلى يومنا هذا فلم نر مذهباً من المذاهب أسلم منه... فالاستمسك به نجاة إن شاء الله..."<sup>12</sup>، وهذا أسد بن الفرات يقول منتصرا للمذهب المالكي: "... إن أردت الله والدار الآخرة فعليك بمالك بن أنس..."<sup>13</sup>.

10 - ينظر: الأستاذ عمر الجيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ص 41-42.

11 - ابن خلدون، المقدمة، ص 356، ط 1، عام 1993م، دار الكتب العلمية.

12 - القاضي عياض، ترتيب المدارك، 22/1.

13 - نفس المصدر: 22/1.



وهنا يبرز دور عبد الله بن ياسين الجزولي، ذلك الفقيه المجاهد الذي أمضى سبع سنوات يطلب العلم في الأندلس، وسنوات أخرى في المغرب، ورابط بجانب شيخه الفقيه الزاهد الولي الصالح وجّاج بن زولو اللّمطي (ت. 445هـ)، الذي قام فترة بالقيروان يتلقى العلم والفقه المالكي على يد شيخ المذهب في عصره أبي عمران الفاسي، ثم عاد ليخطّ طريقه في مجال نشر الدعوة والإسلام السني الصحيح، ومحاربة البدع والمبتدعة، والخوارج وغيرهم، ويؤسس رباطه الذي أطلق عليه اسم (دار المرابطين)<sup>14</sup>.

لقد انطلق ابن ياسين - كما هو معلوم - من دار المرابطين هذه متجها نحو أقاصي الصحراء رفقة يحيى بن إبراهيم الجُدالي أمير قبيلة صنهاجة... وقد كلف بهذا الأمر - بعد اختيار دقيق وصائب - من شيخه وأستاذه في الدين والمذهب والورع والجهاد وجّاج اللّمطي الذي إنّا فعل ذلك امتثالاً لتوصية الشيخ الكبير أبي عمران الفاسي، نزيل القيروان، بأن يصطفي من قبله رجلاً يرتضيه لتولي مهمة تعليم قبائل الصحراء الممتدة إلى أرض السودان أمور دينهم الذي اعتنقوه من قبل، وتعميق فهمهم له، وإصلاح عقائدهم على مذهب أهل السنة والجماعة، ولكن الرجل لم يقف عند مهمته الدعوية في الصحراء، وإنّا تطلّع لما هو أعظم وأخطر، فكان المؤسس الحقيقي للدولة المرابطية، ثم استشهد ابن ياسين - رحمه الله - في إحدى معاركه مع البرغواطيين بالمغرب الأقصى (451هـ)<sup>15</sup>... ثم عهد إلى يوسف بن تاشفين إتمام مهمة تمهيد الشمال الإفريقي انطلاقاً من المغرب الأقصى، وبذلك أصبح المرابطون يتحكمون في امبراطورية شاسعة موحدة، تمتد أفقياً من الحدود المصرية إلى البحر المحيط، وعمودياً من بلاد الأندلس إلى حدود النيجر ونهر السنغال جنوباً<sup>16</sup>.

### المحور الثالث: دخول المذهب المالكي إلى السودان الغربي.

حينما يريد شخص ما أن يتحدث عن انتشار الإسلام وحضارته وثقافته ومثله العليا في المنطقة التي تعرف اليوم بغرب إفريقيا أو منطقة جنوب الصحراء، وتعرف قديماً بالسودان الغربي، سوف يتحدث عن المذهب المالكي، أحد المذاهب الفقهية السنية الباقية التي انتشرت في العالم الإسلامي.

14 - دور المغرب في نشر الإسلام ولغة القرآن بالغرب الإفريقي، عبد العلي الودغيري ص 49-50.

15 - نفس المرجع بتصرف، ص 50.

16 - المرجع السابق والصفحة.

إن دخول المذهب المالكي إلى السودان الغربي قديمٌ جداً؛ لارتباطه الوثيق بشمال إفريقيا، الذي يتمذهب بالمذهب المالكي، وتعتبر دولة المرابطين من الدول الإسلامية، التي لعبت دوراً كبيراً في توسيع نطاق انتشار الإسلام في السودان الغربي - كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن الإسلام إنما دخل إلى السودان الغربي على أيدي المرابطين عام 460هـ، الموافق 1076م، بعد إسقاطهم لمملكة غانا شبه الوثنية. والصحيح أن الإسلام كان موجوداً في المنطقة قبل غزو المرابطين لمملكة غانا شبه الوثنية، وذلك بعد فتح عقبة بن نافع الفهري - رضي الله عنه - لإقليم فزان في ليبيا، وتمكّنه من فتح بعض أجزاء السودان الغربي، وبخاصة منطقة الشمال الغربي لجمهورية النيجر (الحالية)، ثم انتشر تدريجياً عن طريق التجار الدعاة الذين يفدون إلى المنطقة للتجارة والدعوة في نفس الوقت، ولكن لم يزهري الإسلام وتقوم له دولة يحكمها إلا بعد وصول المرابطين، الذين أسهموا إسهاماً فاعلاً في نشره وتثبيته، حيث قاموا بدور منقطع النظير في دفع حركة المد الإسلامي إلى مساحات واسعة في السودان الغربي.<sup>17</sup>

ومما يؤيد وجود الإسلام في المنطقة قبل المرابطين، ما ذكره البكري عن عاصمة مملكة غانا (كومبي صالح) ومدينة غانة، مدينتان سهليتان، إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة وفيها اثنا عشر مسجداً، أحدها يجمعون فيه، ولها الأئمة والمؤذنون والراتبون، وفيها فقهاء، وحملة علم ... وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس الملك، "فأهل التكرور اليوم مسلمون... أسلموا على أيدي وارجابي بن رايس، الذي أسلم وأقام عندهم شرائع الإسلام وحملهم عليها...، وتوفي وارجابي سنة 432هـ<sup>18</sup>"، وهذا يدل على قدم الإسلام في السودان الغربي قبل فتح المرابطين، ولكن المرابطين رسخوه ووسعوا نطاقه بإقامة دولة إسلامية، وأسهموا في نشر الثقافة الإسلامية فيها.

وقرر المحققون أن وجود الإسلام بهذه المناطق كان سابقاً لقيام أمر المثلثين، وهناك شواهد وأدلة تاريخية كثيرة على ذلك، وإنما عمل هؤلاء في المقام الأول على تصحيح فهم هذا الدين فهما صحيحاً، وتنقية العقائد من الشوائب والانحرافات والبدع والخرافات بحكم كونهم من أهل السنة وأنصار المالكية، فدورهم إذاً كان دوراً إصلاحياً بالأساس، وهو الدور الذي قاموا به وركّزوا عليه في

17 - ينظر: عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، ص 112، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988.

18 - أبو عبيدة البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ، ص 175.

الشمال من بلاد المغرب الكبير كله شرقا وغربا، حين حاربوا البرغواطيين وغيرهم من أصحاب النحل والانحراف، لكن هذا لا يمنع من القول إنهم عملوا- أيضا- بجانب حركتهم الإصلاحية، على إتمام رسالة التبليغ والدعوة في المناطق الأخرى التي لم يكن الإسلام قد وصلها من قبل"<sup>19</sup>.

ولدولة المرابطين آثار كثيرة في السودان الغربي، ولعل أكبر أثر للمرابطين في السودان الغربي، هو نشر المذهب المالكي فيها، والالتزام به في العبادات والمعاملات، ولا يزال المذهب المالكي هو السائد في المنطقة إلى اليوم.

والسودان الغربي تعد من المناطق التي انتشر فيها المذهب المالكي دون أن ينافسه مذهب آخر، وعد ابن فرحون المالكي السودان الغربي من المناطق التي انتشر فيها المذهب المالكي حين ذكر أهم الأصقاع والبقاع التي عرفها حيث قال: "غلب مذهب الإمام مالك على أهل الحجاز والبصرة ومصر وما وراءها من بلاد إفريقية، والأندلس وصقلية والمغرب الأقصى، إلى بلاد من أسلم من السودان."<sup>20</sup>

ويرجع الفضل بعد الله تعالى أيضا في انتشار المذهب المالكي وسيادته وهيمنته في المنطقة إلى المرابطين، الذين حملوا لواء الإسلام والدعوة إليه، وانتصروا للمذهب المالكي بعد نجاحهم في إقامة دولة إسلامية مترامية الأطراف في السودان الغربي، وكان من الطبيعي أن يتبعهم السودانيون في مذهبهم، ولا يزال المذهب المالكي سائدا في غرب إفريقيا، وكذلك المدرسة المالكية الفقهية المغربية أثرت في المناهج والمقررات الدراسية الفقهية التي جلتها من الكتب المالكية.

ومن أهم العوامل التي أسهمت في ترسيخ المذهب المالكي في السودان الغربي، أن المجتمع السوداني- خاصتهم وعامتهم- يعتبرون أن كل ما جاء أو جيء به من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولذا تعلقوا بالمذهب المالكي- أيضا- وتشبثوا به، ولم ييغوا عنه بديلا، ومما ساعد على انتشار المذهب المالكي في السودان الغربي وبقائه فيه كذلك ندرة انتشار كتب المذاهب الأخرى في الغرب الإسلامي عامة وفي غرب إفريقيا

19 - يراجع في ذلك: الدكتور عبد العلي الود غيري، دور المغرب في نشر الإسلام ولغة القرآن بالغرب الإفريقي، ص 47، التاريخ العربي، مجلة علمية محكمة تعنى بالتاريخ العربي والفكر الإسلامي، العدد الثالث والخمسون، صيف: 1431هـ-210م (بتصرف).

20 - الديباج المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1/6.



خاصة، مما جعل كثيرا من الخاصة والعامة يجهلون كلياً ما يروج في المذاهب الأخرى من أحكام، وما تتميز به من مميزات ومحاسن، وهذا من شأنه أن يزيد في ترسيخ المذهب المالكي وتقدمه على حساب المذاهب الأخرى.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المكانتين الاجتماعيتين والسياسية اللتين حظي بهما المذهب المالكي في السودان الغربي خلال القرن العاشر لم يسبق لهما مثيل، لأن هذه الفترة هي التي نال فيها الفقه المالكي عناية كبيرة، ووجد علماءه السلطة المطلقة في حرية التعبير والتفكير، وأصبحوا ذوي الحل والعقد، مثل: الشيخ محمد بغيوغو، وتلميذه الشيخ أحمد بابا التمبكتي، والشيخ ألفا محمود كعت، وغيرهم.

وصفوة القول: إن السودان الغربي من أهم المناطق في الغرب الإسلامي التي ساد فيها المذهب المالكي، سيادة مطلقة دون منافس له يذكر، وأصبح بذلك من أكثر المناطق انغلاقاً عليه، وبعداً عن المذاهب الأخرى.

وقد قام علماء المالكية في المنطقة بجهود جبارة في خدمة السنة النبوية من خلال مؤلفاتهم، ومن أبرزهم في القرن التاسع عشر الميلادي: الشيخ عثمان بن فودي، الذي قام بجهود كبيرة في خدمة السنة ومحاربة البدع والعادات السيئة المخالفة لمفاهيم الإسلام الصحيحة في مجتمع السودان الغربي.

#### المحور الرابع: دور فقهاء المدرسة المالكية الفقهية المغربية في امتداد

##### ونشر المذهب المالكي في السودان الغربي.

لقد لعب العلماء والفقهاء المغاربة الذين توافدوا على المنطقة من الشمال الإفريقي دوراً هاماً في نشر المذهب المالكي في السودان الغربي عبر الأزمنة والعصور من خلال السعي إلى زيارة أقطاره، إما لنشر العلم والدعوة أو للتجارة والدعوة، ولعل أقدم مَنْ زاروا السودان الغربي، أو استقروا فيه للتعليم والتجارة.

1- الشيخ أحمد بن خلوف الفاسي، الذي استقر بغانا.

2- الشيخ سعيد الدوكالي الذي "سكن مدينة نيامي (عاصمة إمبراطورية مالي)، خمسة وثلاثين

سنة" <sup>21</sup>.

21 - صبح الأعشى، القلقشندي، طبعة المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، بلا تاريخ، 94/5.

3- الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909هـ)، صاحب التصانيف والرسائل والأجوبة المعروفة، كانت له حظوة كبيرة عند ملوك تغيدا في آير (شمال جمهورية النيجر).<sup>22</sup> وقد بدأت النهضة العلمية في آير بمجيء الشيخ عبد الكريم المغيلي إليها عام: 1479م، وفتح مدرسة قرآنية للصغار، وأخرى للكبار، لتعليم علوم الدين والعربية في تغيدا، وبقي فيها فترة قبل مواصلة رحلته إلى كتشنا وكانو (نيجريا).. وغيرهما.<sup>23</sup>

وللشيخ المغيلي اليد الطولى في تعلم ونشر المذهب المالكي، ويحكى عنه أنه لما سافر إلى بلاد السودان الغربي أحضر معه كتب الفقه المالكي، منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ - المؤطأ للإمام مالك.

ب - والمختصر لخليل بن إسحاق

ج - ورسالة ابن أبي زيد القيرواني ودرّسها لهم، ويقال: بأنه أول من درّس مؤطأ مالك في السودان الغربي، وأرسى المذهب المالكي من خلال تدريسه لكتب المالكية التي حملها معه إلى المنطقة ودرّسها في كانو وكتشنا وغيرهما.<sup>24</sup>

ولم يكن المغيلي وحده صاحب الشأن في ترسيخ المذهب المالكي من خلال تدريسه، فقد جاء آخرون أيضا وكان لهم دور كبير في ترسيخه وانتعاش الحياة العلمية والثقافية بالسودان الغربي، منهم على سبيل المثال:

1- الفقيه البلبالي (مخلوف بن علي بن صالح) (ت بعد 949هـ).

2- عبد الرحمن شقين (ت 957هـ).

3- إبراهيم بن محمد الساحلي، الأديب المعماري المعروف بالطويحين (توفي بعد: 943هـ) ببلاد السودان.

4- محمد بن يوسف الزياتي الغماري (توفي 990هـ) ببلاد السودان.

22 - يراجع الدكتور علي يعقوب، جهود علماء المالكية في خدمة السنة (الشيخ عثمان ابن فودي نموذجاً، بحث تقدم به إلى الملتقى الدولي الثاني عشر للمذهب المالكي، الاتجاه الحديث في المذهب المالكي، الذي نظّمته وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر، 23-24 رجب 1437هـ الموافق: 2-3 ماي 2016م.

23 - جهود علماء المالكية في خدمة السنة.

24 - نفسه.

5- محمد بن علي البلبالي (توفي بعد: 940 هـ). "25"

وهناك أسماء أخرى لفقهاء وقضاة، وغيرهم ذكرهم ابن بطوطة في رحلته للسودان الغربي (القرن الثامن الهجري)، مثل:

1- الفقيه محمد الفيلاي، إمام مسجد البيضان بمدينة غاو.

2- محمد بن الفقيه الجزولي بعاصمة مالي، وصهره:

3- الفقيه المقرئ عبد الواحد.

4- علي الزودي المراكشي من الطلبة.

5- أبو إبراهيم إسحاق الجاناتي قاضي تغيدا (في النيجر). "26"

6- الفقيه محمد بن عبد الله من أهل تغيدا -أيضا- فضلا عن جماعة آخرين ممن لم يذكر صفتهم. وما هؤلاء الذين ذكرنا سوى عينة ممن احتفظ التاريخ بأسمائهم، من العلماء والفقهاء الذين وفدوا إلى بلاد السودان الغربي، وتركوا فيها بعض آثارهم وبصماتهم، مع العلم أن كتابة تاريخ العلم والعلماء في المنطقة لم تبدأ في الظهور، إلا مع أوائل القرن العاشر الهجري، أي مع ظهور كتاب ألفا محمود كعت، المسمى "تاريخ الفتاش"، الذي بدأ صاحبه في كتابته سنة 925 هـ، وما تبعه من مؤلفات أخرى، ككتابي أحمد بابا التنبكتي: "نيل الابتهاج" و"كفاية المحتاج" و"تاريخ السعدي" المعروف بـ"تاريخ السودان". "27"

مما تقدم تبين لنا جليا أن علماء وفقهاء شمال إفريقيا قد لعبوا دورا كبيرا في تطوير المدرسة المالكية الفقهية في السودان الغربي من خلال كتبهم ومؤلفاتهم، وزياراتهم، وإقاماتهم، وكان علماء الشمال (الإفريقي) يرسلون إلى إخوانهم في الجنوب ما يطلبون من كتب ومؤلفات، ويذهبون إلى الجنوب ويحملون معهم الكتب والمؤلفات، وبخاصة كتب الفقه المالكي.

ويروى عن عالم قدم إلى بلاد السودان الغربي من الشمال (الإفريقي) مع تلاميذه لنشر العلم بين الطلاب الراغبين في التعلم، وكان يحمل معه "مختصر خليل بن إسحاق في الفقه المالكي، وما أن سمع به طلاب العلم حتى التفوا حوله لسماعه ونقله عنه، وهذا الإقبال على سماع مختصر خليل يدل

25 - ينظر ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 274 - 278 - 279.

26 - يراجع الدكتور علي يعقوب، جهود علماء المالكية في خدمة السنة، مرجع سابق.

27 - نفس المرجع.



على اهتمامهم بكتب الفقه المالكي ومؤلفاته، وكذلك كان ملوك السودان إذا سافروا للحج يشتركون الكتب، وبخاصة كتب الفقه المالكي، وقد اشترى الملك كنگن موسى (ملك مالي) في رحلته المشهورة إلى الحج من مصر بعض الكتب في الفقه المالكي، وكان متمسكا بالمذهب المالكي، واعترف أمام السلطان الناصر محمد بن قلاوون المملوكي عندما طلب منه أن يقبل الأرض أمامه، فقال: "أنا مالكي المذهب ولا أسجد لغير الله".<sup>28</sup>

وقد قام المغاربة بدور الوسيط الذي أوصل الرسالة إلى أهل السودان الغربي، وقاموا بدور آخر وهو رعاية الإسلام في تلك الديار بحكم القرب والجوار وحماية ظهره والدفاع عن وجوده والعمل على ترسيخ جذوره وتثبيت دعائمه وتصحيح مسيرته باستمرار، ولذلك فإنّ الحضور المغربي وتأثيره القوي كانا متميزين عبر التاريخ عن باقي المؤثرات الأخرى.

فأين يتجلى هذا الحضور والتأثير؟

يتجلى هذا الحضور والتأثير من مظاهر عديدة نذكر منها ثلاثة مظاهر، لأن المقام لا يسمح بذكرها كلها:

**المظهر الأول:** يتجلى في الطابع المذهبي للإسلام، الذي انتشر في إفريقيا الغربية، وظل قائما على حاله إلى يوم الناس هذا.

فالإسلام في هذه المنطقة إسلام "سني على مذهب الإمام مالك، رضي الله عنه، المشهور بوسطيته واعتداله، وعلى العقيدة التوحيدية السلفية إلى عصر المرابطين والعقيدة الأشعرية ابتداء من عصر الموحدين. وكان للمرابطين وفقهائهم ودعاتهم من المغاربة دورٌ أساسي في تثبيت هذا المذهب السني وعقيدة التوحيد الصافية في نفوس الأفارقة، والعلماء والفقهاء الذين توافدوا على المنطقة من الشمال الإفريقي بعد ذلك وعلى مر العصور كانوا جميعا من أصحاب هذا المذهب..<sup>29</sup>" وكل العلماء الذين برزوا واشتهروا في السودان الغربي كانوا من فقهاء المالكية وعلمائها بلا استثناء.

**المظهر الثاني:** يتجلى في مناهج التعليم ومصادره ومراجعته وأساتذته، فهي في أغلبها مغربية روحا وجسدا (قلبا وقالبا).

28 - المقرئ، الذهب المسبوك، تحقيق جمال الدين الشيال، الطبعة الأولى، 2000م، مكتبة الثقافة الدينية، ص 112.

29 - ينظر في ذلك: الدكتور عبد العلي الودغيري، ص 52، مرجع سابق.

والمنهج المغربي في التعليم يبرز منذ الدخول إلى الكتّاب والبدء في حفظ القرآن الكريم برواية ورش، إلى تعلم الكتابة بالخط المغربي المعروف والتميز بشكله ورسمه ونقطه وترتيب حروفه، إلى حفظ المتون الفقهية واللغوية والأدبية، ثم مرحلة التبحر في مختلف العلوم باستخدام المصادر والمراجع المغربية، والأندلسية في غالب الأحيان، باستثناء بعض المصادر السنية المشرقية المالكية وغيرها، كان المغاربة أنفسهم يعتمدونها ويرجعون إليها "كمختصر" خليل وشروحه وكتب السيوطي وابن حجر.. وغيرها.<sup>30</sup>

وقد أورد الأستاذ إبراهيم الكتاني رحمه الله في مقدمة تحقيق كتاب "فتح الشكور" للولائي، قائمة طويلة بأسماء الكتب المغربية، التي كانت تدرس في مراكز التعليم بالسودان الغربي... هذا فضلا عما ورد في حديث طويل له عن الأسانيد المغربية في الروايات والإجازات التكرورية السودانية...<sup>31</sup>.

**المظهر الثالث:** يتجلى في الطرق الصوفية التي انتشرت بإفريقيا الغربية، فكلها طرق مغربية كالسنوسية والزروقية والشاذلية والناصرية الدرعية والتّجانية... ولاشك أن تأثير الطرق الصوفية المغربية في هذه المنطقة تأثير قوي جدا ما يزال فاعلا وحاضرا في كافة الطبقات والشرائح الاجتماعية على اختلافها، ولاشك أيضا في أنها قامت بأدوار وأدت خدمات جليلة بإسهامها الكبير في نشر الدين والثقافة والتعليم العربيين الإسلاميين من جهة، وبصمود رجالها في وجه الغزو الاستعماري والثقافي في العصر الحديث من جهة أخرى.

**المظهر الرابع:** يتجلى في دور علماء المغرب وفقهائه ودعاته، سواء منهم الذين كان تأثيرهم مباشرا بحضورهم في أرض السودان، أو الحضور إليهم في أرض المغرب، أم غير مباشر بواسطة كتبهم ومؤلفاتهم التي انتشرت واشتهرت في إفريقيا الغربية، وأصبحت تمثل المصادر والمراجع المعول عليها والمتون التي لا بد من حفظها واستظهارها والاستشهاد بأقوالها ونصوصها. أما الوافدون من فقهاء المغرب وعلمائه ودعاته، فكانت رحلتهم إلى السودان الغربي مستمرة طيلة مراحل التاريخ الإسلامي دون انقطاع، ونحن وإن كنا لا نجد لائحة بأسمائهم في القرون الأربعة الأولى للهجرة، فإن الدليل على وجودهم قائم، وحضورهم ثابت لاشك فيه، فالإسلام لم يكن

30 - نفس المرجع بتصرف.

31 - المرجع نفسه، ص 54.

ليصل إلى تلك البقاع ويستقر في تلك الأصقاع... دون دعاة وفقهاء وأئمة كان همهم في نشر رسالة التوحيد وثقافة الإسلام ولغة القرآن....<sup>32</sup>.

### المحور الخامس: دور فقهاء السودان الغربي في نقل المدرسة

#### المالكية الفقهية المغربية إلى السودان الغربي.

هناك في مقابل الوافدين من المغرب على السواد الغربي، فئة من الأفارقة قدموا إلى المغرب، وذهبوا إليه في رحلات علمية خاصة، فأقاموا به وأخذوا عن أشياخه وعلمائه، وفئة أخرى جاءت في رحلات سفارية أو حجية، فوجدت في إقامتها مناسبة للاحتكاك بعلماء المغرب والاطلاع على مؤلفاتهم وربط الصلة العلمية المباشرة بهم، وقد كان الأديب الشاعر أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكانمي (ت 608 أو 609 هـ) من أقدم الوافدين الأفارقة المعروفين إلى المغرب...<sup>33</sup>

ومن أعلام السودان الذين رحلوا إلى المغرب أيضا:

1 - الإمام القاضي كاتب موسى في عهد سلطان مالي - منسا موسى (القرن 8 الهجري) وقد كان من كبار المشايخ، وتولى إمامة المسجد الكبير بتنبكتو. قال عنه السعدي في تاريخه: "وهو من علماء السودان الذين رحلوا إلى فاس لتعلم العلم في دولة أهل مالي بأمر السلطان العدل الحاج موسى"<sup>34</sup> وفي هذه الإشارة ما قد يفيد بأن هذا السلطان على الأقل كان يرسل بعثات طلابية للتعلم في المغرب، وربما كان يقدم لهم من المعونات المالية وغيرها ما يقوي عزمهم ويشجعهم على تحمل أعباء الغربة والإقامة في طلب العلم،

2 - إن الملك منسا موسى حين رحل للحج رجع ومعه الشيخ عبد الرحمن التميمي ليستعين به على نشر العلم في بلده مالي، ولكن هذا الفقيه الشرقي وَجَدَ نفسه مضطرا للرحلة إلى المغرب لزيادة التعلّم وخاصة في فقه المالكية وفروعه.

قال السعدي متحدثا عن الشيخ يحيى التادلسي (ت: 863 هـ) وهو من علماء تنبكتو الكبار: "وروي أن طلبة سنكري إذا جاؤوه لأخذ العلم يقول: يا أهل سنكري كفاكم سيدي عبد الرحمن

32 - عبد العلي الودغيري، ص 56.

33 - نفس المرجع،

34 - تاريخ السودان، ص 57، وراجع الأستاذ الدكتور عبد العلي الودغيري، مرجع سابق.



التميمي، وهو جاء من أرض الحجاز، صحبة السلطان موسى صاحب مالي حين رجع من الحج، وسكن تنبكتو وأدركه حافلا بالفقهاء السودانيين، ولما رأى أنهم فاقوا عليه... في الفقه، رحل إلى فاس وتفقه هناك، ثم رجع إليه فتوطن فيه....<sup>35</sup> " وإذا كان لنا ما نعلق به على هذه القصة، فهو أن الرحلة إلى المغرب وعواصمه، كانت عند أهل السودان من الأمور التي تكسب صاحبها جاها ومكانة بين العلماء، وأن طريق الفقه المالكي إنما يؤتى من المغرب لا من المشرق، والظاهر أن الذي دفع التيمي إلى الرحلة للمغرب وحفزه لها هو السلطان موسى، ولا سيما أنه كان بجانبه مستشار أندلسي مغربي ذو كلمة نافذة هو أبو إسحاق إبراهيم الساحلي الذي زار المغرب هو الآخر في سفارة بين سلطان مالي وأبي الحسن المريني.<sup>36</sup> "

ويقول أحد الباحثين المتخصصين في العلاقات الثقافية المغربية السودانية، إن ظاهرة الرحلة لطلب العلم بالمغرب، أخذت مع بداية القرن التاسع الهجري: "تعرف نموا مطّردا ومتزايدا، ويتضح لنا ذلك من خلال بروز عدد من العائلات العلمية السودانية، نخص بالذكر منها عائليتي أقيت وبغبع اللّتين لمع نجمهما في بلاد السودان منذ النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، وكان العديد من أعلام هاتين الأسرتين قد دخل المغرب ليأخذ من فقهاء، ومنهم من توفي ودفن بالمغرب"<sup>37</sup> .

ومن أشهر علماء السودان الغربي الذين كانت لهم رحلة إلى المغرب في نهاية القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي):

1- الشيخ محمد الأمين الكانمي، الذي أصبح أميرا على بلاد برنو في تشاد "الحالية"، وكانت له قبل ذلك رحلة إلى المشرق، ثم عرج على بلاد المغرب فأقام في فاس مدة سنتين وزار طرابلس والقيروان وتلمسان وغيرها.<sup>38</sup> "

2- ومن أشهرهم أيضا أحمد بن القاضي أبي بكر الفوقي أصلا الدّوجفي مولدا ثم التنبكتاوي الجنائوي، من أهل القرن الثالث عشر الهجري، فقد زار تونس خلال رحلته الحجّية، كما زار

35 - عبد العلي الودغيري، ص 57.

36 - نفسه، ص 61.

37 - أحمد الشكري، الإسلام والمجتمع السوداني، ص 223.

38 - ينظر عبد الرحمن الماضي، الدعوة الإسلامية في إفريقيا، وراجع الأستاذ الدكتور عبد العلي الودغيري، مرجع سابق، ص 63.

مدينة فاس وأقام بها أيام المولى سليمان العلوي، وقرأ على عدد من مشاهير علمائها في ذلك الوقت، كمحمد الطيب بن كيران، وإدريس العراقي، وأحمد بن الشيخ التاودي، وأبي عبد الله محمد الزروالي، ومحمد بن عبد السلام الدرعي، وغيرهم.<sup>39</sup>

3- ومنهم في القرن الثالث عشر: الشيخ الحاج عمر بن سيد الفوتي (ت 1284هـ) الذي كان على الطريقة التجانية، وكانت له رحلة للحج وطلب العلم، فزار فاس وتلمسان والقيروان وبرقة والقاهرة، وفيها وفي غيرها من البلاد التي مر بها وأقام، جلس لتلقي العلم والأخذ عن علمائها.<sup>40</sup>

ويضاف هؤلاء الذين ذكرنا من الأعلام الوافدين على المغرب، إلى ما أورده إبراهيم الكتاني، رحمه الله، من أسماء أخرى كثيرة، في مقدمة تحقيق "فتح الشكور" وإلى أسماء غيرها واردة في مصادر ومراجع متعددة، فلترجع في مكانها.

### خلاصة :

- 1- تأصيل المدرسة المالكية الفقهية المغربية في السودان الغربي.
- 2- إبراز الدور العلمي للمدرسة المالكية الفقهية المغربية الإفريقية في السودان الغربي.
- 3- أن المذهب المالكي هو المذهب الوحيد السائد في السودان الغربي.
- 4- دور وأثر العلماء والفقهاء المغاربة في نشر الفقه والثقافة الإسلامية واللغة العربية بالمنطقة.
- 5- أن الإسلام لم يكن ليستقر في المنطقة التي تحدثنا عنها إلا بواسطة المغاربة، من أبناء الشمال الإفريقي عموما والمغرب الأقصى على وجه الخصوص.

39 - تراجع رسالته المسماة: شكايه الدين إلى رعاية الموكلين به، ضمن كتاب، مصلح فولاتي في بلاد المغرب (تحقيق محمد المنصور وفاطمة الحراق)، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2000م.

40 - ينظر المرجع السابق، ص 63.

6- أن الناس وإن اختلفوا في الطرق التي سلكها الإسلام إلى إفريقيا عامة، والجزء الغربي منها خاصة، بين من يقول إنه جاء من المشرق مباشرة وبين من يقول إنه عن طريق المغرب، إلا أنهم لم يختلفوا أن المذهب المالكي وفد إلى المنطقة عن طريق واحد فقط هو طريق المغرب والمغاربة.



# ديوان العدد



## أحب بروح بالمحبة واعدة إلى الروح الطاهرة لجلالة المغفور له السلطان محمد الخامس طيب الله ثراه

شعر عبد الكريم الوزاني  
فاس

وَمَلَأْتُكَ الرَّحْمَنَ حَوْلَكَ حَاشِدَةً  
وَلَأَنْتَ أَخْلَدُ مِنْ مُلُوكِ خَالِدَةٍ  
فِي غَيْرِ طَلْعَتِكَ الْبَهِيَّةِ زَاهِدَةٍ  
عَذْرَاءَ نَافِذَةِ الْبَصِيرَةِ وَاحِدَةٍ  
تَعُشَى مَدَارِكُهَا فَتُصْبِحُ كَامِدَةٍ  
فِي هَالَةِ الْقَمَرَيْنِ مِنْهُ صَاعِدَةٍ  
وَعُيُونُ رَحْمَتِهِ عَلَيْهَا شَاهِدَةٍ  
مُتَمَسِّكٌ بِالصَّالِحَاتِ وَعَابِدَةٍ  
فَحَيَاتُهُ فِينَا وَمِنَّا أَبَدَةٍ  
وَسَبِيلُهُ نَحْوَ الصَّوَابِ وَقَائِدَةٍ  
أَنْ حَمْدُهُ يُعْلِي بِحَقِّ حَامِدَةٍ  
فَبِكُلِّ وَارِدَةٍ صَدَاهُ وَشَارِدَةٍ  
مِنْ قَاصِدِ سُبُلِ الرِّشَادِ وَقَاصِدَةٍ  
نَفْسٌ تَكَادُ تَفِيضُ مِنْهُ هَامِدَةٍ  
ذِكْرَاكَ فِي وَجْهِهِ الْمَفَاخِرِ صَامِدَةٍ  
وَأَرْدَتْهَا مَجْهُودَةٌ وَنُجَاهِدَةٍ

وَقَفْتُ جُمُوعُ الْخَلْقِ خَلْفَكَ شَاهِدَةٍ  
فَلَأَنْتَ أَطْهَرُ مَنْ يُجَابُ دَعَاؤُهُ  
عَيْنِي بِثَاقِبِ نُورِهَا وَصَفَائِهَا  
تَسْتَكْشِفُ الْأَسْرَارَ مِنْ إِيْمَاءَةٍ  
لَكِنَّهَا وَأَمَامَ سِرِّكَ مُقْلَةً  
لِلَّهِ مِنْ مَلِكٍ رَأَيْنَا صُورَةً  
تَرْنُو إِلَى رَبِّ تَقْدَسَ ذِكْرُهُ  
وَالِى جُمُوعِ الشَّعْبِ كُلِّ عَابِدٍ  
لَا... لَمْ يَمُتْ مَنْ عُمُرْنَا فِي عُمُرِهِ  
لَا... لَمْ يَمُتْ مَنْ كَانَ زَهْرَةَ عُمُرِنَا  
لَا... لَمْ يَمُتْ رَجُلٌ وَمِنْ أَوْصَافِهِ  
لَا... لَمْ يَمُتْ مَنْ كَانَ نَجْمَ صُعُودِنَا  
مَا خَابَتِ الْأَيْدِي وَقَدْ مُدَّتْ لَهُ  
وَيُحْيِي عَلَى قَبْرِ وَتَحْتَ رُغَامِهِ  
لَمْ تَبْلُغِ الْأَيَّامُ مِنْكَ مَرَامَهَا  
أَنْسَيْتَ نَفْسَكَ مِنْ خَضَمٍ كِفَاحَهَا



إِنَّ كَانَ غَيْرُكَ يَسْتَلِدُّ تَنَعُّمًا  
 فَلَقَدْ خُلِقْتَ إِلَى الْمَعَالِي مُفْرَدًا  
 فَاللَّهُ فَضَّلَ أَنْفُسًا قَوَّامَةً  
 مِنْ نَارِ حُبِّكَ نَسْتَمِدُّ وَجُودَنَا  
 مَا كَانَ أَنْ تَنْسَى هَوَاكَ قُلُوبَنَا  
 تَسْقِي مَآقِينَا ثَرَاكَ بِدَمْعِهَا  
 إِنَّ كَانَ يَصْدُقُ رَائِدُ أَهْلِيهِ فِي  
 أَلْمَنُ وَالسَّلَوَى وَمَا حَفَلَتْ بِهِ  
 وَعُغْدُ صَرِيحٍ فِي وَعِيدِ مُبْهَمٍ  
 إِنَّ كَانَ جَارُكَ فِي اللُّحُودِ مُجَاهِدًا  
 فَعَزَاؤُنَا أَنَّ الْجُسُومَ تَجَارَةٌ  
 لَمْ يَبْقَ فِيهَا غَيْرُ وَجْهِ جَلَالِهِ  
 أَمَّا الَّتِي هَبَطَتْ إِلَى أَجْسَامِنَا  
 بِاللَّهِ فِي مَلَكُوتِهِ وَعَلاَّتِهِ  
 حَتَّى لِيُبْحَرَ فِي مِيَاهِ رَاكِدَةً  
 وَرَكِبْتَ لِلْجُلَى خُيُولًا رَائِدَةً  
 بِفُرُوضِهِنَّ عَلَى نُفُوسٍ قَاعِدَةً  
 نَارُ الْغَرَامِ عَلَى الْمُتَمِّمِ بَارِدَةً  
 لَا دَرْدَرٌ قُلُوبٍ صَخِرَ جَامِدَةً  
 فَكَأَنَّمَا فَصَدَّتْهُ عَيْنٌ فَاصِدَةً  
 أَقْوَالِهِ فَالشَّعْبُ يَقْفُو رَائِدَةً  
 مُنْذُ الْعُصُورِ الْجَاهِلِيَّةِ مَائِدَةً  
 مِنْ أَيْنِ صِحَّتِهِ تُمَيِّزُ فَاسِدَةً  
 مِنْ وَالِدِ قَبَسِ الْفَخَارِ وَوَالِدَةٍ  
 بَارَتْ فَطِيتَتُهَا بِحَقِّ كَاسِدَةٍ  
 كُلُّ ابْنِ آدَمَ بَائِدٌ مِنْ بَائِدَةٍ  
 مِنْ بَرْزَخِ عَالٍ فَرُوحٌ رَاشِدَةٍ  
 أَحَبُّ بِرُوحٍ بِالْمَحَبَّةِ وَاعِدَةٍ

## فهرس العدد:

افتتاحية ..... 7

### مقالات العدد

- ذكرى 20 غشت شهادة تاريخية على التحام العرش والشعب  
د. عبد الحق المريني ..... 11
- الإعلام الديني ودوره في تثبيت الهوية الوطنية "مجلة دعوة الحق نموذجا" لمؤسسها المغفور  
له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه  
د. عبد الحميد العلمي ..... 15
- مساجد فاس ودورها الفعال في ثورة الملك والشعب  
د. سمير بوزويطة ..... 23
- ثورة الملك والشعب قوام الوحدة والتلاحم وأساس التنمية والتقدم  
د. إبراهيم بنزيدي ..... 35
- مقاومة الشيخ ماء العينين للاستعمار الفرنسي من خلال كتاب (التوغل في موريتانيا)  
للضابط جيليه  
د. سعيد المغناوي ..... 41
- المؤسسات الثقافية السلاوية في عهد الحماية ودورها في رد الاختراق الاستعماري  
د. عزيز بويغف ..... 57

## مقالات داعمة

- إمارة المؤمنين ورعاية الوحدة الوطنية في ظل حماية الدين  
 دة. سعاد رحائم ..... 71
- قراءة في كتاب "نداء القاهرة" لمؤلفه علال الفاسي  
 د. أحمد الأزمي ..... 85
- ثورة الملك والشعب في سيرة عبد الرحمان اليوسفي  
 ذ. أحمد بلخيري ..... 107
- المدرسة المالكية المغربية وامتداداتها الإفريقية  
 د. عبد الله بن إدريس أبوبكر ميغا ..... 119

## ديوان العدد

- أحبيب بروح بالمحبة واعدة: إلى الروح الطاهرة لجلالة المغفور له السلطان محمد الخامس  
 طيب الله ثراه
- الشاعر: عبد الكريم الوزاني ..... 139



## شروط النشر بالمجلة

- تنشر المجلة الدراسات العلمية والبحوث المترجمة والمقالات الفكرية ومراجعات الكتب التي تتسم بالعمق والموضوعية، في مجالات العلوم الشرعية والفكر الإسلامي والحضارة وفق الشروط الآتية:
- أن يكون البحث أصيلاً لم يسبق نشره، وألا يكون مستلاً من بحث جامعي، أو أرسل للنشر في مجلة أخرى.
- أن تراعى قواعد البحث العلمي في توثيق المصادر والمراجع والإحالة عليها.
- ألا يزيد عدد صفحات البحث أو المقال عن 18 صفحة من حجم: A4.
- في حالة إرسال بحث مترجم يشترط إرسال نسخة من البحث الأصلي.
- في حالة وجود وثائق وصور، يرجى أن تكون موثقة وبدقة جيدة.
- تخضع المادة المرسلة للتحكيم العلمي، وتمنح المجلة مكافأة مالية عن كل بحث منشور، وفق النظام المعمول به في المجلة.
- ترسل البحوث بالبريد إلى عنوان المجلة مطبوعة على الورق، وفي قرص مضغوط، أو على البريد الإلكتروني، مع نبذة تعريفية عن صاحب البحث وعنوانه الكامل ورقم هاتفه.
- البريد الإلكتروني هو : [alamihamid49@gmail.com](mailto:alamihamid49@gmail.com)
- ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.
- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، كما أن المجلة غير ملزمة بإيضاح أسباب عدم النشر.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.

## محاوَر الأعداد المقبلة:

تدعو إدارة مجلة دعوة الحق السادة الباحثين إلى الكتابة في أحد المحاورين الآتيين:

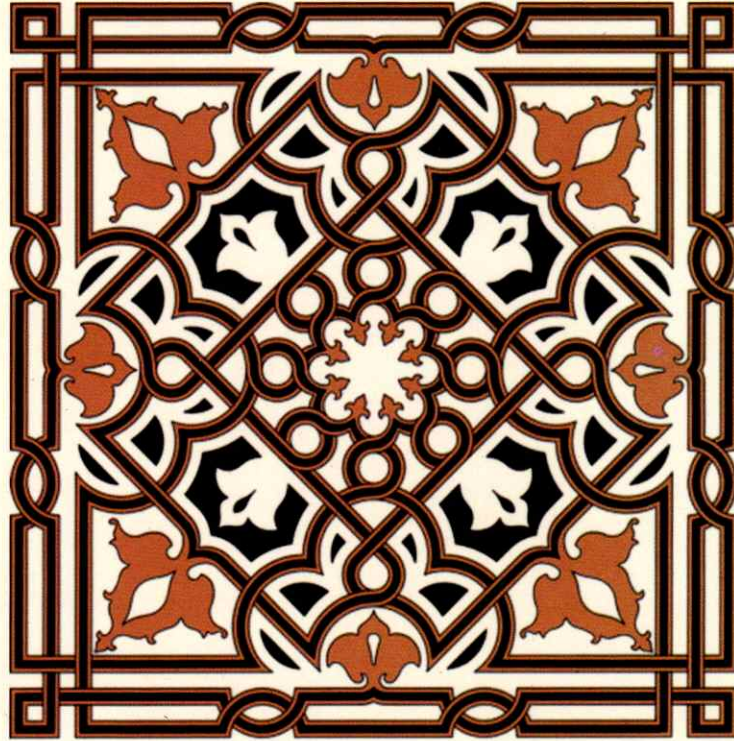
1. إمارة المؤمنين والبعد الإفريقي
2. المدرسة الأشعرية بالمغرب وإفريقيا











## دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وشؤون الثقافة والعكر  
تصدرها وزارة الشؤون الإسلامية  
بالمملكة المغربية